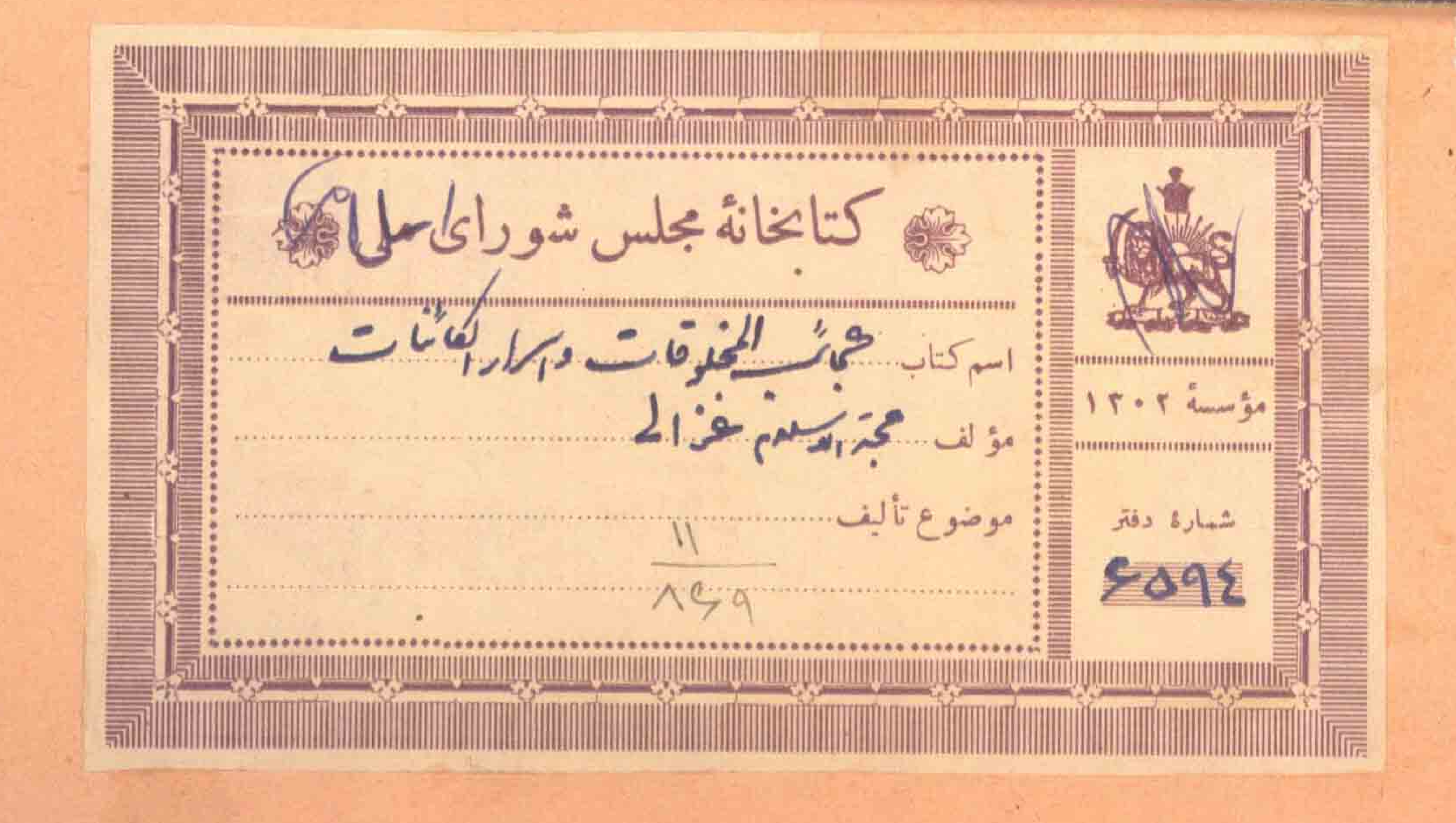






کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
اسم کتاب عجائب المخلوقات و اسرار الکائنات
مؤلف حجة الاسلام غزالی
موضوع تألیف
۱۱
۸۶۹
مؤسسهٔ ۱۳۰۲
شمارهٔ دفتر
۶۵۹۴



عجائب المخلوقات . وأسرار الكائنات

في الحيوان . والانسان . والنبات

المعروف

بالحكمة في مخلوقات الله عز وجل

تصنيف

الامام العلامه حجة الاسلام ابى حامد محمد الغزالى

قدس الله سره

تباع بالمكتبة المحمودية

لصاحبها ومديرها : « محمود على صبيح »

الكائن مركزها العمومى بميدان الجامع الازهر الشريف بمصر

المكتبة والمطبعة المحمودية



﴿ وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ﴾

الحمد لله الذى جعل نعمته فى رياض جنان المقربين ، وخص بهذه الفضيلة من عباده المتفكرين ، وجعل التفكر فى مصنوعاته وسيلة لرسوخ اليقين ، فى قلوب عباده المستبصرين ، استدلوا عليه سبحانه بصنعته فعلموه ، وتحققوا ان لا إله إلا هو فوحدوه ، وشاهدوا عظمته وجلاله فنزهوه ، فهو القيم بالقسط فى جميع الاحوال ، وهم الشهداء على ذلك بالنظر والاستدلال ، فعلموا أنه الحليم القادر العليم ، كما قال فى كتابه الكريم ، شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وامام المتقين وشفيع المذنبين محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه وشرف وكرم الى يوم الدين ، (أما بعد) يا أخي وفقك الله توفيق العارفين ، وجمع لك خير الدنيا والدين ، إنه لما كان الطريق الى معرفة الله سبحانه والتعظيم له النظر فى مخلوقاته والتفكر فى عجائب

لرسوخ اليقين ، وفيه تفاوت درجات المتقين ، وضعت هذا الكتاب منبهاً لعقول أرباب الالباب ، بتعريف وجوه من الحكم والنعم التى يشير اليها معظم آى الكتاب ، فان الله تعالى خلق العقول وكمل هداها بالوحى وأمر اربابها بالنظر فى مخلوقاته ، والتفكر والاعتبار بما أودعه من العجائب في مصنوعاته ، لقوله سبحانه وتعالى (قل انظروا ما ذا في السموات والارض) وقوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حى أفلا يؤمنون) الى غير ذلك من الآيات البينات والدلالات الواضحات التى بفهمها والترقى فى اختلاف معانيها تعظم المعرفة بالله سبحانه التى هى سبب السعادة ، والفوز بما وعد به عباده من الحسني وزيادة ، وقد بوبته أبواباً يشتمل كل باب على ذكر وجه لحكمة من النوع المذكور فيه من الخلق وذلك حسب ما تنبهت له عقولنا فيما أشرنا اليه مع أنه لو اجتمع الخلائق على أن يذكروا جميع ما خلق الله سبحانه وتعالى وما وضع من الحكم في مخلوق واحد من مخلوقاته لعجزوا عن ذلك وما أدركته الخلائق من ذلك ما وهب الله سبحانه لكل منهم وما سبق له من ربه سبحانه والله المسئول أن ينفعنا به برحمته وجوده

(باب التفكر فى خلق السماء وفى هذا العالم)

قال الله تعالى (أفلا ينظرون الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) وقال تعالى سبحانه (الله الذى خلق سبع سموات الآية)

المبنى المعد فيه جميع ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض
ممدودة كالبساط والنجوم منصوبة كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخائر
وكل شيء من ذلك معد مهيأ لشأنه والانسان كالمالك للبيت المخول لما
فيه فضروب النبات لمآربه وأصناف الحيوانات مصروفة في مصالحه
فخلق سبحانه السماء وجعل سبحانه لونها أشد الالوان موافقة للابصار
وتقوية لها ولو كانت أشعة أو أنوارا لاضرت الناظر اليها فان النظر الى
الخضرة والزرقة موافق للابصار وتجد النفوس عند رؤية السماء فى سعتها
نعيما وراحة لا سيما اذا انفطرت نجومها وظهر نور قمرها والملوك تجعل
فى سقوف مجالسها من النقش والزينة ما يجد الناظر اليه به راحة
وانشراحا لكن اذا داوم الناظر اليه نظره وكرره مله وزال عنه ما كان
يجده برؤيته من البهجة والانشراح بخلاف النظر الى السماء وزينتها
فان الناظر اليها من الملوك فمن دونهم اذا ضجروا من الاسباب المضجرة
لهم يلجؤن الى ما يشرحهم من النظر إلى السماء وسعة الفضاء . . وقد
قالت الحكماء يحذوك عندك من الراحة والنعيم فى دارك بمقدار ما عندك
فيها من السماء . . وفيها أنها حاملة لنجومها المرصعة ولقمرها وبحركتها
تسير الكواكب فيهتدى بها أهل الآفاق وفيها طرق لا تزال توجد
آثارها من المغرب والمشرق ولا توجد مجرة [1] ولا مقابلة صورة نور
وقيل انها أنجم صغار متكاثفة مجتمعة يهتدي بها على السير من ضل

وتحير فى أى جهة كان يقصدها وقيل انها المشار اليها فى قوله تعالى
(والسماء ذات الحبك) قيل الحبك الطرق وقيل ذات الزينة فهى دلائل
واضحة تدل على فاعلها وصنعة محكمة صمدية تدل على سعة علم باريها
وأمور ترتيبها كل يدل على ارادة منشيها فسبحان القادر العالم المريد .
وقيل فى النظر الى السماء عشر فوائد تنقص الهم وتقلل الوسواس
وتزيل وهم الخوف وتذكر بالله وتنشر فى القلب التعظيم لله وتزيل
الفكر الردية وتنفع من مرض السوداء وتسلى المشتاق وتؤنس المحبين
وهى قبلة دعاء الداعين

﴿ باب في حكمة الشمس ﴾

قال الله سبحانه وتعالى (وجعل الشمس سراجا) إعلم ان الله سبحانه
خلق الشمس لأمور لا يستكمل علمها الا الله وحده فالذى ظهر من
حكمته فيها أن جعل حركاتها لاقامة الليل والنهار فى جميع اقاليم
الارض ولولا ذلك لبطل أمر الدين أو لولاه كيف يكون الناس
يسعون فى معايشهم ويتصرفون فى أمورهم والدنيا مظلمة عليهم
وكيف كانوا يتهنون بالعيش مع فقدهم لذة النور ومنفعته ولولا ضياء
نورها ما انتفع بالأبصار ولم تظهر الألوان . . وتأمل غروبها وغيبتها
عمن طلعت عليهم وما فى ذلك من الحكمة ولولاه ، لم يكن للخلق هدو
ولا قرار مع شدة حاجتهم الى الهدو وراحة أبدانهم وخمود حواسهم

على مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم مكانته فى أبدانهم فان أكثر
الحيوانات لولا دخول الليل ماهدوا ولا قروا من حرصهم على نيل
ما ينتفعون به ثم كانت الارض تحمى بدوام شروق الشمس واتصاله
حتى يحترق كل ما عليها من الحيوانات والنباتات فهى بطلوعها فى
وقت وغروبها فى وقت فى النور بمنزلة سراج لأهل بيت يستضاء به
وقتاً ويغيب وقتاً ليهدوا ويقروا وهي في حرها بمنزلة النار يطبخ بها أهل
الدار حتى اذا كمل طبيخهم واستغنوا عنها أخذها من جاورهم وهو يحتاج
اليها فينتفع بها حتى اذا قضى حاجته سلمها لآخرين فهى أبدا منصرفة
فى منافع أهل الارض بتضاد النور والظلمة على تضادهما متعاونين
متظافرين على مافيه صلاح العالم وقوامه والى هذه القضية الاشارة بقوله
(قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة الآية)
ثم بتقدمها وتأخرها تستقيم الفصول فيستقيم أمر النبات والحيوان . .
ثم انظر الى مسيرها في فلكها في مدة سنة وهى تطلع كل يوم وتغرب
بسير آخر سخر لها بتقدير خالقها فلولا طلوعها وغروبها لما اختلف
الليل والنهار ولما عرفت المواقيت ولو انطبق الظلام على الدوام لكان فيه
الهلاك لجميع الخلق فانظر كيف جعل الله الليل سكناً ولباساً والنهار
معاشاً وانظر الى ايلاجه الليل فى النهار والنهار فى الليل وادخاله الزيادة
والنقصان عليهما على الترتيب المخصوص وانظر الى امالة سير الشمس

برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوت وسط السماء اشتد القيظ واذا
كانت فيما بينهما اعتدل الزمان فيستقيم بذلك امر النبات والحيوان
باقامة هذه الازمنه الاربعة من السنة . . وأما ما فى ذلك من المصلحة
ففى الشتاء تعود الحرارة فى الشجر والنبات فيتولد فيها مواد الثمار
ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر وتشتد أبدان الحيوان
وتقوى أفعال الطبيعة وفى الربيع تتحرك الطبائع فى المواد المتولدة في
فيطلع النبات بأذن الله وينور الشجر ويهيج أكثر الحيوانات للتناسل
وفى الصيف يحمر الهواء فينضج الثمار وينحل فضول الابدان ويجف
وجه الارض فتتهيأ لما يصلح لذلك من الاعمال وفى الخريف يصفو
الهواء فترتفع الأمراض ويمتد الليل فيعمل فيه بعض الاعمال ويحسن
فيه الزراعة وكل ذلك يأتى على تدريج وبقدر حتى لا يكون الانتقال
دفعة واحدة الى غير ذلك مما يطول لو ذكر فهذا مما يدلك على تدبير
الحكيم العليم وسعة علمه . . ثم تفكر في تنقل الشمس فى هذه البروج
لاقامة دور السنة وهذا الدور هو الذى يجمع الازمنة الأربعة الشتاء
والصيف والربيع والخريف وتسير فيها على التمام وفى القدر من دوران
الشمس تدرك الغلات والثمار وتنتهي غاياتها ثم تعود فتستأنف وقت
السير وبسيرها تكمل السنة ويقوم حساب السنة علي الصحة على
التاريخ بتقدير الحكيم العليم * تأمل اشراق الشمس علي العالم كيف
دبره تبارك وتعالى فانها لو بزغت فى موضع واحد لها لا تعدوه لما وصل

شعاعها الا الى جهة واحدة وخلت عنها جميع الجهات فكانت الجبال
والجدران تحجبها عنها فجعلها سبحانه تشرق بطلوعها أول النهار من
المشرق فيعم شروقها ما يقابلها من جهة المغرب ثم لا تزال تدور وتغشى
جهة بعد جهة حتى تنتهي الى الغرب على ما استتر عنها أول النهار فلا يبقى
موضع حتى يأخذ بقسطه منها . . ثم انظر الى مقدار الليل والنها كيف
وقتهما سبحانه على مافيه صلاح العالم فصارا بمقدار لو تجاوزاه لأضر
بكل ما على وجه الارض من حيوان ونبات أما الحيوان فكان لا يهدأ
ولا يقر مادام يجد ضوء النهار وكانت البهائم لا تمسك عن الرعي فيؤل
امرها الى تلفها واما النبات فتدوم عليه حرارة الشمس وتوهجها فيجف
ويحترق وكذلك الليل لو امتد مقداره أيضاً لكان معيقاً لأصناف الحيوان
عن الحركة والتصرف فى طلب المعاش وتخمد الحرارة الطبيعية من النبات
فيعفن ويفسد كالذي يحدث على النبات اذ كان الموضع لا تقع الشمس عليه

﴿ باب فى خلقة القمر والكواكب ﴾

قال الله سبحانه وتعالى (تبارك الذي جعل فى السماء بروجاً وجعل
فيها سراجاً وقمراً منيرا) اعلم وفقك الله ان الله سبحانه وتعالى لما جعل
الليل لبرد الهواء وهدو الحيوان وسكونه لم يجعله سبحانه ظلمة داجية
لاضياء فيها البتة فكان لا يمكن أن يعمل عملا فيه وربما احتاج الناس الى
بعض أعمالهم فى الليل اما لضرورة أو لضيق وقت عليهم من النهار وقد
يتم ذلك [illegible]

من جملة ما تحتاج اليه فى المعونة على ذلك فجعل طلوعه فى بعض الليالى
ونقص نوره عن نور الشمس وحرها لئلا ينشط الناس فى العمل نشاطهم
لكل ما به يتمتعون من الهدو والقرار فيضر ذلك بهم وجعل فى
الكوكب جزءاً من النور يستعان به اذا لم يكن ضوء القمر وجعل فى
الكواكب زينة السماء وأنساً وانشراحاً لاهل الارض فانظر ما ألطف
هذا التدبير جعلت للظلمة دولة ومدة للحاجه اليها وجعل خلالها
شيء من النور ليكمل به ما احتيج اليه . . ثم فى القمر علم الشهور والسنين
وهو صلاح ونعمة من الله ثم فى النجوم مآرب أخرى فان فيها دلائل
وعلامات على أوقات كثيرة لعمل من الاعمال كالزراعة والغراسة
والاهتداء بها فى السفر فى البر والبحر وأشياء مما تحدث من الانواء
والحر والبرد وبها يهتدى السيارون في ظلمة الليل وتقطع القفار الموحشة
واللجج الهائلة كما قال تعالى (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهدوا بها في
ظلمات البر والبحر) مع ما فى ترددها فى السماء مقبلة أو مدبرة ومشرقة
أو مغربة من البهجة والنضارة وفى تصريف القمر خاصة فى استهلاله
ومحاقه وزيادته ونقصانه واستنارته وكسوفه كل ذلك دلالات على
قدرة خالقها المصرف لها هذا التصرف لاصلاح العالم . . ثم انظر دوران
الفلك بهذه الكواكب في كل يوم وليلة دوراناً سريعاً وسيرها معلوم
مشاهد فانا نشاهدها طالعة وغاربة ولولا سرعة سيرها لما قطعت هذه
المسافة [illegible] فى أربعة وعشرين ساعة فلولا تدبير [illegible] سبحانه

بارتفاعها حتى خفى عنا شدة مسيرها فى فلكها لكانت تختطف بتوهجها
لسرعة حركاتها كالذى يحدث أحياناً من البروق اذا توالت في الجو فانظر
لطف الباري سبحانه في تقدير سيرها فى البعد البعيد لكيلا يحدث من
سيرها حادث لايحتمل فهى مقدرة فى جميع الاحوال على قدر الحاجة
وانظر فى هذه التى تظهر فى بعض السنة وتحتجب فى بعضها مثل الثريا
والجوزاء والشعرى فانها لو كانت كلها تظهر فى وقت واحد لم يكن لشيء
منها دلالة على جهالة تعرفها الناس ويهتدون بها فكان فى طلوع بعضها
فى وقت دون الاخر مايدل علي ماتنتفع به الناس عند طلوعه مما
يصلحهم ولذلك جعلت بنات نعش ظاهرة لا تغيب لضرب من المصلحة
فانها بمنزلة الاعلام التى تهتدى بها الناس للطرق المجهولة فى البر والبحر
فانها لا تغيب ولا تتوارى . . ثم انظر لو كانت واقفة لبطلت الدلالات
التى تكون من تنقلات المنتقلة منها ومصيرها فى كل واحد من البروج
كما يستدل على أشياء تحدث فى العالم بتنقل الشمس والقمر فى منازلهما
ولو كانت منتقلة كلها لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يقاس عليه
لانه انما يعرف مسير المتنقلة منها بتنقلها فى البروج الدانية كما يعرف سير
السائر على الأرض بالمنازل التى يجتاز عليها فقد صار هذا الفلك شمسه
وقمره ونجومه وبروجه تدور على هذا العالم دورانا دائما فى الفصول
الاربعة من السنة لاصلاح مافيه من حيوان ونبات وغير ذلك بتقدير
العزيز العليم ، ومن عظيم الحكمة خلق الافلاك التى بها ثبات هذا

العالم على نهاية من الاتقان لطول البقاء وعدم التغيير فقد كفى الناس
التغير فى هذا الامر الجليل الذى ليس قدرة ولا حيلة فى اصلاحه لو نزل
به تغيير يوجب ذلك التغيير أمراً فى الارض اذ قوام الارض مرتبط
بالسماء فالامر فى جميع ذلك ماض على قدرة البارى سبحانه لايختل
ولا يتخلف منه شيء عن ميقاته لاصلاح العالم فسبحان العليم القدير

﴿ باب في حكمة خلق الارض ﴾

قال تعالى (والارض فرشناها فنعم الماهدون) ثم انظر كيف جعل
الله الارض مهاداً ليستقر عليها الحيوان فانه لابد له من مستقر ولاغناء
له عن قوت فجميع الارض محل للنبات لقوته ومسكن يكنه من الحر
والبرد ومدفن يدفن فيه ماتؤذي رائحته والجيف والاقذار من أجسام
بنى آدم وغيرها كما قال سبحانه (ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا)
قيل فى تفسير هذه الآية هذا القول وغيره ثم ذلل طرقها لتنتقل فيها
الخلق لطلب مآربهم فهى موضوعة لبقاء النسل من جميع أصناف الحيوان
والحرث والنبات وجعل فيها الاستقرار والثبات كما نبه على ذلك سبحانه
وتعالى بقوله (أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم
ولانعامكم) فأمكن الخلائق بهذا التصرف فيها فى مآربهم والجلوس
لراحتهم والنوم لهدوهم والانتقال لأعمالهم فانها لو كانت رجراجة متحركة
لم يستطيعوا أن يتقنوا شيئاً من النبات وجميع الصناعات وكانوا لا يتهنون
بالعيش والارض ترتج من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس فى

الزلازل ترهيبا للخلق وتخويفا لهم لعلهم يتقون الله وينزعون عن الظلم
والعصيان ، فهذا أيضا من الحكمة البالغة ثم ان الارض طبعها الله باردة
يابسة بقدر مخصوص أرأيت لو أفرط اليبس عليها حتى تكون بجملتها
حجراً صلداً لما كانت تنبت هذا النبات الذي به حياة الحيوانات ولا كان
يمكن فيها حرث ولا بناء فجعلها لينة لتتهيأ لهذه الاعمال ، ومن الحكمة
في خلقها ووضعها ان جعل مهب الشمال أرفع من الجنوب لينحدر الماء
على وجه الارض فيسقيها ويرويها ثم يصير الى البحر فى آخر الامر فأشبه
ذلك ما اذا رفع أحد جانبي السطح وخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولو لا
ذلك لبقى الماء مستبحراً على وجه الارض فيمتنع الناس من أعمالهم
وتنقطع الطرق والمسالك بسبب ذلك * انظر الى ما خلق الله فيها من
المعادن وما يخرج منها من أنواع الجواهر المختلفة فى منافعها وألوانها مثل
الذهب والفضه والياقوت والزمرد والبنفش وأشياء كثيرة من هذه
الاحجار الشفافة المختلفة فى ألوانها وأنواع أخر مما يصلح للاعمال والجمال
كالحديد والنحاس والقزدير والرصاص والكبريت والزرنيخ والتوتيا
والرخام والجبس والنفط وأنواع لو عددت لطال ذكرها وهو مما ينتفع
به الناس وينصرف فيما يصلحهم فهذه نعم يسرها سبحانه لهم لعمارة
هذه الدار ، ثم انظر الى ارادة ايجاده من عمارتها وانتفاع العباد بها جعلها
هشة سهلة بخلاف ما لو كانت على نحو خلق الجبال فلو يبست كذلك

والثمر والا لا يتعدى اذا صلبت الماء الى الحب مع أن الحب لا يمكن دفنه
الا بعد أن تلين الارض بالنداوة ويأخذ الورق وهي ضعيفة في ابتدائها
في الارض التربة ويمكن اذا ذاك عملها وتحريكها حتى تشرب ما ينزل
عليها من الماء فيخلق الله سبحانه عند ذلك العروق ملتبسة بالثرى حتى يقف
الشجر والنبات على ساقه وجعل ما يخلق من العروق يوازن ما يخلق من
الفروع ، ومن رحمته فى لينها أن ييسر للناس حفر الآبار فى المواضع
المحتاجة الى ذلك اذ لو حفرت في الجبال لصعب الامر وشق ، ومن
الحكمة في لينها تيسير السير للسعادة فيها اذ لو صلبت لعسر السير ولم
تظهر الطرق وقد نبه الله تبارك وتعالى على ذلك بقوله (هو الذى جعل
لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها) وقال تعالى (وجعل فيها سبلا
فجاجا لعلهم يهتدون) ومن ذلك ما يستعين به العباد من ترابها ولينها في
البناء وعمل اللبن وأواني الفخار وغير ذلك والمواضع التي ينبت فيها الملح
والشب والبورق والكبريت أكثرها تربة رخوة وأيضا أجناس من
النبات لا توجد الا في التراب والرمل دون الارض الجبلية ويخلق فيها
كثير من الحيوان لسهولة حفرها فيتخذون فيها مصارب وبيوتا يأوون
اليها ومن الحكمة فيها خلق المعادن كما ذكر فقد امتن سبحانه على سليمان
عليه السلام بذلك فقال (وأسلنا له عين القطر) أى سهلنا له الانتفاع
بالنحاس وأطلعناه على معدنه وقال امتنانا على عباده (وأنزلنا الحديد فيه
بأس شديد ومنافع للناس) والنزول بمعنى الخلق كما قال سبحانه (وأنزل

لكم من الانعام) أى خلق وألهمهم استخراج مافيها من ذهب وفضة وغـير ذلك لمنافعهم وما يحتاجون اليه في معاشهم وفى اتخاذ أوانيهم وفى ضبط مايحتاجون الى ضبطه وتقويته واتخاذ أنواع من الحجارة النفيسة لتبقي فيها كالزجاج ويتخذون منها أوانى لحفظ مايجعل فيها من الاموال النفيسة لتبقي فيها سليمة لوقت الاحتياج اليها اذ لاغنى لهم عنها وكذلك يستخرج من المعادن الاكحال مثل (الدهيخ والموميا) والسادن والتوتيا وغير ذلك من أصناف ينتفعون بها فسبحان المنعم الكريم ، ومن الحكمة البالغة فيها خلق الجبال قال تعالى (والجبال أرساها) وقال تعالي (وجعل فيها رواسى أن تميد بكم) وقال سبحانه (وأنزلنا من السماء ماء فأسكناه فى الارض) فقد خلق سبحانه فيها الجبال لمنافع متعددة لايحيط بجميعها الا الله ، فمن ذلك أن الله تعالى أنزل من السماء المياه ليحيى بها العباد والبلاد فلو كانت الارض عارية عن الجبال لحكم عليها الهواء وحر الشمس مع رخاوة الارض فكانوا لايجدون المياه الا بعد حفر وتعب ومشقة فجعل سبحانه الجبال لتستقر فى بطونها المياه وتخرج أولا فأولا فتكون منها عيون وأنهار وبحار يرتوى بها العباد في أيام القيظ الى أوان نزول غيث السماء ومن الجبال ماليس فى باطنها محل للمياه فجعل الثلج محفوظا على ظاهرها الى أن يحله حر الشمس فيكون منه أنهار وسواق ينتفع بها الى أوان نزول الغيث أيضاً ، ومنها مايكون فيه برك يستقر فيها الماء فيؤخذ منها وينتفع به كما ينتفع به من الاحجار

ماينبت فيها من أنواع الاشجار والعقاقير التى لا توجد الا فيها وما ينبت فيها من أنواع الأخشاب العظيمة فيعمل منها السفن وتعمر منها المساكن وفيها الشعارى التى لا يوجد مايعظم من الاخشاب الا فيها وكذلك العقاقير أكثرها لا يوجد الا بها وفيها وهاد تنبت مزراع للانعام ومزارع لبنى آدم ومساكن للوحوش ومواضع لاجناح النحل ، ومن منافع الجبال مايتخذه العباد من مساكن تقيهم الحر والبرد ويتخذون مدافن لحفظ جثث الموتى وقد ذكر الله ذلك فقال (ويتخذون من الجبال بيوتاً آمنين) ومن فوائدها أن جعلت اعلاما يستدل بها المسافرون على الطرقات في نواحى الارض ويستدل بها المسافرون فى البحار على المين والسواحل ، ومن فوائدها أن الفئه القليلة الضعيفة الخائفة من عدوان من لاتطيقه تتخذ عليها مايحصنها ويؤمنها ويمنعها ممن تخافة فتطمئن لذلك وانظر كيف خلق الله فيها الذهب والفضه وقدرها بتقدير مخصوص ولم يجعل ذلك ميسراً فى الوجود والقدر مع سعة قدرته وشمول نعمته كما جعل هذه السعة فى المياه وما ذلك الا لما سبق في علمه لخلائقه مما هو الاصلح كما أشار الى ذلك بقوله (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) فسبحان العليم الحكيم

﴿ باب في حكمة البحر ﴾

قال الله تبارك وتعالى (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا)

لعظم نفعها فجعلها مكتنفة لاقطار الارض التى هى قطعة من الارض
المستورة بالبحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف
من البرارى والجبال عن الماء بالاضافة الى الماء كربوة صغيرة فى بحر
عظيم ، فاعلم أن مايخلق فى الارض من الحيوان بالاضافة الى ماخلق
فى البحر كاضافة الارض الي البحر وقد شاهدت فيها عجائب ماهو
مكشوف منها فتأمل عجائب البحر فان فيه من الحيوان والجواهر
والطيب أضعاف مانشاهده على وجه الارض كما أن سعته أضعاف سعة
الارض ولعظم سعته كان فيه من الحيوانات والدواب العظيمة ما اذا
أبدت ظهورها على وجه البحر ظن من يراها أنها حشاف أو جبال أو
جزائر وما من صنف من أصناف حيوان البر من انسان وطائر وفرس
وبقر وغير ذلك الا وفى البحر أمثالها وأضعافها وفيه أجناس من
الحيوانات لم تعهد أمثالها فى البر وكل منها قد دبره البارى سبحانه وخلق
فيه مايحتاجه ويصلحه ولو استقصي ذكر مايحتويه بعضه لاحتاج الى
وضع مجلدات ، ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ مدوراً فى صدف تحت
الماء وأنبت المرجان فى جنح صخور فى البحر فقال سبحانه (يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان) وذلك فى معرض الامتنان وقيل المرجان المذكور فى
القرآن هو الرقيق من اللؤلؤ ثم قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان) والآلاء
تفضله ونعمه ثم انظر مايقذفه من العنبر وغيره من المنفوع ثم انظر الى
عجائب السفن وكيف مسكها على وجه الماء تسير فيها العباد لطلب الا

وتحصيل مالهم من الاغراض جعلها من آياته ونعمته فقال (والفلك
التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس) فجعلها بتسخيره تحملهم وتحمل
أثقالهم ويتنقلون بها من أقاليم الي أقاليم لايمكن وصولهم اليها الا بالسفن
ولو راموا التوصل بغيرها لأدى الى أعظم المشقات وعجزوا عن نقل
ماينقل من المنقولات الى ما بعد من البلاد والجهات فلما أراد الله سبحانه
وتعالى ان يلطف بعباده ويهون ذلك عليهم خلق الاخشاب متخللة
الاجزاء بالهواء ليحملها الماء ويبقى فيها من الفضاء عن نفسها ما تحمل به
الاثقال وألهم العباد اتخاذها سفناً ثم أرسل الرياح بمقادير فى أوقات
تسوق السفن ، تسيرها من موضع الي موضع آخر ثم ألهم اربابها معرفة
أوقات هبوبها وفترتها حتى يسيروا بالرياح التى تحمل شراعها ونظر الى
مايسره سبحانه فى خلقه الماء اذ هو جسم لطيف رقيق سيال متصل
الاجزاء كأنه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطع حتى
كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للاتصال والانفصال حتى يمكن
سير السفن فيه فالعجب ممن يغفل عن نعمة الله فى هذا كله وفى بعضه
متسع للفكر وكل ذلك شواهد متظاهرة ودلائل متضافرة وآيات
ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال قدرته
وعجائب حكمته قائلة اماترى تصويرى وتركيبي وصفاتي زمناً واختلاف

حالى وكثرة فوائدى أيظن ذو لب سليم وعقل رصين انى تكونت
بنفسى أوابدعنى أحد من جنسى بل ذلك صنع القادر القهار العزيز الجبار

﴿ باب فى حكمة خلق الماء ﴾

قال الله تبارك وتعالى (وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون)
وقال عز شأنه) فانشأنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها
أاله مع الله بل قوم يعدلون) انظر وفقك الله الى ما من به سبحانه وتعالى
على عباده بوجود الماء العذب الذى به حياة كل من على وجه الارض من
حيوان ونبات فلو اضطر الانسان الى شربة منه ومنع منها لهان عليه
أن يبذل فيها مايمكنه من خزائن الدنيا . والعجب من غفلة العباد عن
هذه النعمة العظيمة وانظر مع شدة الحاجة اليها كيف وسع سبحانه على
العباد فيها ولو جعلها بقدر لضاق الامر فيها وعظم الحرج على كل من
سكن الدنيا ، ثم أنظر لطافة الماء ورقته حتى ينزل من الارض ويتخلل
أجزاءها فتتغذى عروق الشجر ويصعد بلطافته بواسطة حرارة
الشمس الى أعالى الشجر والنبات وهو من طبعه الهبوط ولما كانت
الضرورة تدعو الي شربه لاماعة الاغذية فى اجواف الحيوان ليتصرف
الغذا لى موضعه جعل لشاربه فى شربه لذة عند حاجته اليه وقبولا له
ويجد شاربه فيه نعيما وراحة وجعل مزيلا للأدران عن الابدان
والاوساخ عن الثياب وغيره وبالماء يبل التراب فيصلح للبناء والاعمال

فيسوغ شربها وبه تطفأ عادية النار اذا وقعت فيها فلا تلتهب فيه وأشرف
الناس منها عليها يكرهون وبه تزول الغصة اذا أشرف صاحبها على
الموت وبه يغتسل التعب الكال فيجد الراحة لوقته وبه تستقيم المطبوخات
وجميع الاشياء التى لا تستعمل ولا تصلح الا رطبة الى غير ذلك من
مآرب العباد التى لا غنى لهم عنها فانظر فى عموم هذه النعمة وسهولة
تناولها عن قدرها مع شدة الحاجة اليها فلو ضاقت لكدرت الحياة فى
الدنيا فعلم بهذا ان الله تبارك وتعالى اراد بانزاله وتيسيره عمارة الدنيا
بما فيها من حيوان ونبات ومعدن الى غير ذلك من المنافع التى يقصر
عنها الوصف لمن يروم حصرها فسبحان المتفضل العظيم

﴿ باب الحكمة فى خلق الهواء ﴾

قال الله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) اعلم رحمك الله ان الهواء في خلقه تتخلله
الرياح ولولا ذلك لهلك جميع حيوان البر وباستنشاقه تعتدل الحرارة فى
أجسام جميع الحيوانات لانه لهم مثل الماء لحيوان البحر فلو انقطع عن
الحيوان استنشاقه انصرفت الحرارة التى فيها الى قلبها فكان هلاكها
بسبب ذلك ثم انظر الى الحكمة فى سوق السحاب به فيقطع المطر
بانتقال السحاب الى موضع يحتاج الى المطر فيها للزراعة فلولا لطف
البارى بخلق الرياح لثقلت السحائب وبقيت راكدة فى أماكنها وأمتنع

وهبوبها فتحمل فيها من أقاليم الى أقاليم مما لا يخلق تلك الاشياء فيها
فينتفع أهلها بها فلولا تنقلها بالهواء لم تكن تلك الاشياء الا بمواضعها
التى خلقت فيها خاصة ولعسر نقلها بالدواب الى غيرها من الاقاليم
وللعباد ضرورات تدعو الى ما ينقل اليهم مما ليس يخلق عندهم ومنافع
يكثر تعدادها من طلب أرباح لمن يحملها ويعلم فوائدها ثم انظر الى
مافى الهواء من اللطافة والحركة يتخلل اجزاء العالم فينقى بحركته عفن
الارض فلولاه لعفنت المساكن وهلك الحيوان بالوباء والعلل ثم انظر
الى مايحصل منه من النفع فى نقل السوافي والرمال الى البساتين
وتقوية أشجارها بما ينتقل اليها من التراب بسبب حركة الهواء وتستر
وجوه جبال بالسوافى فيمكن الزراعة فيه وما فصل الى السواحل مما
ينتفع الناس بسببه وكل ذلك بحركة البحر بالهواء فيقذف البحر العنبر
وغيره مماينتفع به العباد فى أمورهم ثم انظر كيف يتفرق المطر بسبب
حركة الهواء فيقع على الارض قطرات فلولا حركة الهواء لكان الماء
ينـزل له ينزل انصبابه واحدة فيهلك مايقع عليه ثم يجتمع بلل
القطرات فيجتمع أنهاراً وبحاراً على وجه الارض من غير تضرر ويحصل
بذلك مقصودهم على أحسن وجه فانظر الى أثر رحمة الله فسبحان
اللطيف بخلقه المدبر لملكه ثم انظر عموم هذه الرحمة وعظيم نفعها
وشمول هذه النعمة وجليل قدرها كما نبه العقول عليها بقوله تعالى

ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى
ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ثم من تمام النعمة وعظيم الحكمة ان جعل
سبحانه الصحو يتخلل نزول الغيث فصارا يتعاقبان لما فيه صلاح هذا
العالم فلودام واحد منهما عليه لكان فساداً . ألا ترى ان الامطار اذا
توالت وكثرت عفنت البقول والخضروات وهدمت المساكن والبيوت
وقطعت السبل ومنعت من الاسفار وكثير من الحرف والصناعات
ولو دام الصحو لجفت الابدان والنبات وعفن الماء الذي في العيون
والاودية فاضر ذلك بالعباد وغلب اليبس على الهواء فاحدث ضرراً آخر
من الامراض وغلت بسببه الاسعار من الاقوات وبطل المرعى وتعذر
على النحل مايجده من الرطوبة التى يرعاها على الازهار واذا تعاقبا على
العالم اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما ضرر الآخر فصلحت الاشياء
واستقامت وهذا هو الغالب من مشيئة الله * فان قيل قد يقع من
أحدهما ضرر فى بعض الاوقات . قلنا قد يكون ذلك لتنبيه الانسان
بتضاد الاشياء على نعمة الله تعالى وفضله ورحمته أنه الغالب فيحصل لهم
بذلك انزجار عن الظلم والعصيان ألا ترى ان من سقم جسمه احتاج
الى مايلائمه من الادوية البشعة الكريهة ليصلح جسمه ويصح مافسد
منه قال الله (ولكن ينزل بقدر مايشاء انه بعباده خبير بصير)

﴿ باب في حكمة خلق النار ﴾

قال الله تعالى (أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن

المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم)
اعلم وفقنا الله واياك أن الله خلق النار وهي من أعظم النعم على عباده
ولما علم الله سبحانه وتعالى ان كثرتها وبثها فى العالم مفسدة جعلها الله
بحكمته محصورة حتى اذا احتيج اليها وجدت واستعملت فى كل أمر
يحتاج اليها فيه فهي مخزونة في الاجسام ومنافعها كثيرة لاتحصى فمنها
ما تصلحه من الطبائخ والاشربة التى لولا هالم يحصل فيها نضج ولا
تركيب ولا اختلاط ولاصحة هضم لمن يستعملها فى أكل وشرب فانظر
لطف البارى سبحانه فى هذا الامر المهم ثم انظر فيما يحتاج الناس اليه
من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقزدير وغير ذلك
فلولا هالم يمكن شيء من الانتفاع من هذه الاشياء فبها يذاب
النحاس فتعمل منه الاوانى وغيرها وقد نبه الله تعالى على مثل ذلك
بأنها نعمة توجب الشكر فقال تعالى (اعملوا آل داود شكراً) وبها
يلين الحديد فيعملون به أنواعا من المنافع والآلات للحروب مثل الدروع
والسيوف الى غير ذلك مما يطول تعداده وقد نبه الله تعالى على مثل ذلك
فقال (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) وقال تعالى
(ليحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) ومنه يعمل آلات للحرث
والحصاد وآلات تتأثر بها النار وآلات يطرق بها وآلات لقطع الجبال
الضمة وآلات لنجارة الاخشاب مما يكثر تعدادها فلولا لطف الله
سبحانه بخلق النار لم يحصل من ذلك شيء من المنافع ولولاها لما كان

تهيأ للخلق من الذهب والفضه نقود ولازينة ولا منفعة وكانت هذه
الجواهر معدودة من جملة الاتربة ثم نظر الى ماجعل الله تعالى فى النار من
الفرح والترح عندما تغشى الناس ظلمة الليل كيف يستضيئون بها
ويهتدون بنورها فى جميع أحوالهم من أكل وشرب وتمهيد مراقد
ورؤية مايؤذيهم ومؤانسة مرضاهم وقصدها والعمل عليها براً وبحراً
فيجدون بوجودها انسا حتى كأن الشمس لم تغب عن أفقهم ويدفعون
بها ضرر الثلوج والرياح الباردة ويستعينون بها فى الحروب ومقاومة
حصون لاتملك الا بها فانظر ما أعظم قدر هذه النعمة التي جعل سبحانه
حكمها بأيديهم ان شاؤا خزنوها وان شاؤا أبرزوها

﴿باب فى حكمة خلق الانسان﴾

قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) الى آخر
ماوصفه سبحانه . اعلم وفقك الله تعالى أن الله عز وجل لما سبق في
علمه خلق الخلق وبثهم في هذه الدار وتكليفهم فيها للبلوى والاختبار
خلقهم سبحانه متناسلين بعضهم من بعض فخلق سبحانه الذكر والانثى
وألقى فى قلوبهم المحبة والدواعى حتى عجزوا عن الصبر وعدموا
الحيلة فى اجتناب الشهوة فساقتهم الشهوة المفطورة فى خلقهم الى
الاجتماع وجعل الفكرة يحرك عضوا مخصوصا به الي ايداع الماء فى
القرار المكين الذى يخلق فيه الجنين فاجتمعت فيه النطفة من سائر
البدن وخرجت ماء دافقا مندفعا من بين الصلب والترائب بحركة

مخصوصة فانتقلت بسبب الايلاج من باطن الى باطن فكانت مع انتقالها
باقية على أصلها لأنها ماء مهين أدنى شيء يباشرها يفسدها ويغير مزاجها
فهي ماء مختلط جميعه مستوية أجزاؤه لا تفاوت فيها بحال فخلق سبحانه
منه الذكر والانثى بعد نقلها من النطفة الى العلقة الى المضغة الي العظام
ثم كساها اللحم وشدها بالاعصاب والاوتار ونسجها بالعروق وخلق
الاعضاء وركبها فدور سبحانه الرأس وشق فيه السمع والبصر والانف
والفم وسائر المنافذ فجعل العين للبصر ومن العجائب سر كونها مبصرة
للاشياء وهو أمر يعجز عن شرح سره وركبها من سبع طبقات لكل
طبقة صفة وهيئة مخصوصة بها فلو فقدت طبقة منها أو زالت لتعطلت
عن الابصار . وانظر الي هيئة الاشفار التي تحيط بها وما خلق فيهما من
سرعة الحركة لتقي العين مما يصل اليها مما يؤذيها من غبار وغيره فكانت
الاشفار بمنزلة باب يفتح وقت الحاجة ويغلق في غير وقتها ولما كان
المقصود من الاشفار جمال العين والوجه جعل شعرها على قدر لا يزيد زيادة
يضر بالعين ولا ينقص نقصا يضر بها وخلق في مائها ملوحة لتقطيع ما يقطع فيها
وجعل طرفيها منخفضين عن وسطها قليلا لينصرف ما يقع في العين
لاحد الجانبين وجعل الحاجبين جمالا للوجه وسترا للعينين وشعرهما يشبه
الاهداب في عدم الزيادة المشوهة وجعل شعر الرأس واللحية قابلا
للزيادة والنقص فيفعل فيهما ما يقصد به الجمال من غير تشويه . . ثم انظر
الى الفم واللسان وما في ذلك من الحكم فجعل الشفتين سترا للفم كأنهما

باب يغلق وقت ارتفاع الحاجة الى فتحه وهو ستر على اللثة والاسنان
مفيد للجمال فلولاهما لتشوهت الخلقة وهما معينان على الكلام والاسنان
للنطق والتعبير عما في ضمير الانسان وتقليب الطعام والقائه تحت
الاضراس حتى يستحكم مضغه ويسهل ابتلاعه ثم جعل الاسنان اعدادا
متفرقة ولم تكن عظما واحدا فان اصاب بعضها ألم انتفع بالباقي وجمع
فيها بين النفع والجمال وجعل ما كان منها معكوسا زائد الشعب حتى تطول
مدته مع الصف الذي تحته وجعلها صلبة ليست كعظام البدن لدعاء
الحاجة اليها على الدوام وفي الاضراس كبر وتعريض لأجل الحاجة الى
درس الغذاء فان المضغ هو الهضم الاول وجعلت الثنايا والانياب لتقطيع
الطعام وجمالا للفم وأحكم أصولها وحدد رؤوسها وبيض لونها مع حمرة
ما حولها وجعلها متساوية الرأس متناسبة التركيب كأنها الدر المنظوم . ثم
انظر كيف خلق في الفم نداوة محبوسة لا تظهر الا في وقت الحاجة اليها
فلو ظهرت وسالت قبل ذلك لكان تشويها للانسان فجعلت ليبل بها
ما يمضغ من الطعام حتى يسهل تسويغه من غير عنت ولا ألم فاذا فقد
الاكل عدمت تلك النداوة الزائدة التي خلقت للترطيب وبقي منها
ما يبل اللهوات والحلق لتصوير الكلام ولئلا يجف فان جفافه مهلك
للانسان . ثم انظر الي رحمة الله ولطفه اذ جعل للاكل لذة الاكل فجعل
الذوق في اللسان وغيره من أجزاء الفم ليعرف بالذوق ما يوافقه ويلائمه
من الملذوذ فيجد في ذلك راحة في الطعام والشراب اذا دعت حاجة لي

تناوله وليجتنب الشيء الذي لا يوافقه ويعرف بذلك حد ما تصل الاشياء
اليه في الحرارة والبرودة ثم ان الله تعالى شق السمع وأودعه رطوبة مرة
يحفظ بها السمع من ضرر الدود ويقتل أكثر الهوام الذين يلجون
السمع وحفظ الاذن بصدفة لتجمع الصوت فترده الى صماخها وجعل
فيها زيادة حس لتحس بما يصل اليها مما يؤذيها من هوام وغيرها وجعل
فيها تعويجات ليتطرد فيها الصوت ولتكثر حركة ما يدب فيها ويطول
طريقه فيتأثر ويتنبه صاحبها من النوم ثم أنظر الى ادراكه المشمومات
بواسطة ولوج الهواء وذلك سر لا يعلم حقيقته الا الباري سبحانه الى
غير ذلك . ثم أنظر كيف رفع الانف في وسط الوجه فاحسن شكله
وفتح منخريه وجعل فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاقه على روائح
مطاعمه ومشاربه ليتنعم بالروائح العطرة ويتجنب الخبائث القذرة
وليستنشق أيضاً روح الحياة غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه ثم خلق
الحنجرة وهيأها لخروج الاصوات ودور اللسان في الحركات
والتقطيعات فيقطع الصوت في مجارى مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع
طريق النطق وجعل الحنجرة مختلفة الاشكال في الضيق والسعة
والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى
اختلفت بسبب ذلك الاصوات فلم يتشابه صوتان كما خلق بين كل
صورتين اختلافا فلم تشتبه صورتان بل يظهر بين كل صورتين فرقان
حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت وكذلك يظهر

بين كل شخصين فرقان وذلك لسر التعارف فان الله تعالى لما خلق آدم
وحواء خالف بين صورتيهما فخلق منهما خلقا جعله مخالفا لخلق أبيه وأمه
ثم توالى الخلق كذلك لسر التعارف . ثم انظر لخلق اليدين وهداهما الى
جلب المقاصد ودفع المضار وكيف عرض الكف وقسم الاصابع الخمس
وقسم الاصابع بانامل وجعل الاربعة في جانب والابهام في جانب فيدور
الابهام على الجميع فلو اجتمع الاولون والآخرون على أن يستطيعوا
بدقيق الفكر وجها آخر من وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من
بعد الابهام عن الاربعة وتفاوت الاربعة في الطول وترتيبها في صف
واحد لم يقدروا على ذلك وبهذا الوضع صلح بها القبض والاعطاء فان
بسطها كانت طبقاً يضع عليه ما يريد وان جمعها كانت آلة يضرب بها وان
ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم أصابعه كانت مجرفة .
ثم خلق الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعماداً لها من ورائها حتى لا
تضعف ويلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تتناولها الانامل لولاها
وليحك بها جسمه عند الحاجة الى ذلك فانظر أقل الاشياء في جسمه لو
عدمها وظهرت به حكة لكان أضعف الخلق وأعجزهم عن دفع ما يؤلمه
وجلب ما ينتفع به في ذلك ولم يقم له غير الظفر مقامه في حك جسده
لانه مخلوق لذلك ولغيره فهو لا صلب كصلابة العظام ولا رخو كرخاوة
الجلد يطول ويخلق ويقص ويقصر مثل ذلك ثم جعله يهتدي به الى الحك
في حالة نومه ويقظته ويقصد المواضع الى جهتها من جسده ولو احتاج

الى غيره واستعان به فى حكمها لم يعثر الغير على مواضع الحاجة الا بعد
طول وتعب . ثم أنظر كيف مد منه الفخذين والساقين وبسط
القدمين ليتمكن بذلك من السعي وزين القدمين بالاصابع وجعلها زينة
وقوة على السعي وزين الاصابع أيضاً بالاظفار وقواها بها ثم أنظر كيف
خلق هذا كله من نطفة مهينة ثم خلق منها عظام جسده فجعلها أجساما
قوية صلبة لتكون قواما للبدن وعماداً له وقدرها تبارك وتعالى بمقادير
مختلفة وأشكال متناسبة فمنها صغير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت
وعريض ودقيق ثم أودع فى أنابيب هذه العظام المخ الرقيق مصانا
لمصلحتها وتقويتها . . ولما كان الانسان محتاجا الى جملة جسمه وبعض
أعضائه لترددة فى حاجاته لم يجعل الله سبحانه عظامه عظماً واحداً بل
عظاماً كثيرة وبينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة فقدر شكل كل واحد
منها على قدر وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها
ببعض بأوتار أنبتها بأحد طرفى العظم والصق الطرف الآخر كالرباط ثم
خلق في أحد طرفى العظم زوائد خارجة منها ومن الآخر نقراً غائصة
فيها توافق لاشكال الزوائد لتدخل فيها وتنطبق فصار الانسان اذا أراد
ان يحرك شيئا من جسده دون غيره لم يمتنع عليه فلولا حكمة خلق
المفاصل لتعذر عليه ذلك . ثم انظر كيف جعل خلق الرأس مركبا من
خمس وخمسين عظماً مختلفة الاشكال والصور وألف بعضها الى بعض
بحيث استوت كرة الرأس كما ترى فمنها ستة تختص بالقحف وأربعة

وعشرون للحى الاعلي واثنان للحى الاسفل والبقية من الاسنان بعضها
عريض يصلح للطحن وبعضها حاد يصلح للقطع ثم جعل الرقبة مركز
الرأس فركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات وزيادات ونقصان
لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على
الظهر من أسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من أربعة وعشرين
خرزه وعظم العجز ثلاثة أخري مختلفة ووصل به من أسفله عظم
العصعص وهو مؤلف من ثلاثة أخرى ثم وصل عظام الظهر بعظام
الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز وعظام
الفخذين والساقين وأصابع الرجلين فجملة عدد العظم فى بدن الانسان
مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما سوى العظام الصغيرة التي حشى بها خلل
المفاصل فانظر كيف خلق البارى سبحانه وتعالى ذلك كله من نطفة
رقيقة سخيفة والمقصود من ذكر اعدادها تعظيم مدبرها وخالقها وكيف
خلقها وخالف بين أشكالها وخصها بهذا القدر المخصوص بحيث لو ازداد
فيها واحد كان وبالا واحتاج الانسان الى قلعه ولو نقص منها واحد
لاحتاج الى جبره فجعل سبحانه وتعالى فى هذا الخلق عبرة لأولى
الابصار وآيات بينات علي عظمته وجلاله بتقديرها وتصويرها . ثم
انظر كيف خلق سبحانه آلات لتحريك العظام وهى العضلات فخلق
فى بدن الانسان خمسمائة وتسعة وعشرين عضلة والعضلة مركبة من لحم
[illegible] ورباط وأغشية وهى مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف

مواضعها وحاجاتها فاربعة وعشرون منها لحركة العين وأجفانها بحيث لو
نقصت منها واحدة اختل امر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد
يخصه وقدر يوافقه وأما أمر الأعصاب والعروق والأوردة والشرايين
ومنابتها وسعتها فأعجب من هذا وشرحه يطول ثم عجائب ما فيه من
المعانى والصفات التى لا تدرك بالحواس أعظم . ثم انظر الى ما شرف به
وخص فى خلقه بأنه خلق ينتصب قائماً ويستوى جالسا ويستقبل
الامور بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل ولم يخلق مكبوبا على
وجهه كعدة من الحيوانات اذ لو كان كذلك لما استطاع هذه الاعمال .
ثم انظر من حيث الجملة الى ظاهر هذا الانسان وباطنه فتجده مصنوعا
صنعة بحكمة يقضى منها بالعجب وقد جعل سبحانه أعضاءه تامة بالغذاء
والغذاء متوال عليها لكنه تبارك وتعالى قدرها بمقادير لا يتعداها بل
يقف عندها ولا يزيد عليها فانها لو تزايدت بتوالي الغذاء عليها لعظمت
أبدان بنى آدم وثقلت عن الحركة وعطلت عن الصناعات اللطيفة ولا
تناولت من الغذاء ما يناسبها ومن اللباس كذلك ومن المساكن مثل ذلك
وكان من بليغ الحكمة وحسن التدبير وقوفها على هذا الحد المقدر
رحمة من الله ورفقاً بخلقه فاذا وجدت هذا كله صنعة الله تعالى من قطرة
ماء فما ظنك بصنعته فى ملكوت السموات والارض وشمسها وقمرها
وكواكبها وحكمته في أقدارها وأشكالها وعدادها وأوضاعها واجتماع
بعضها وافتراق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا

تظن ان ذرة فى السموات والارض وسائر عالم الله ينفك عن حكمة
بل ذلك مشتمل على عجائب وحكم لا يحيط بجميعها الا الله سبحانه
وتعالى الم تسمع قوله سبحانه وتعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها)
الى آخر ما نبه به وتأمل لو اجتمع الانس والجن على ان يخلقوا للنطفة
سمعا وبصراً وحياة لم يقدروا على ذلك فانظر كيف خلقها سبحانه فى
الارحام وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وصورها
فاحسن تصويرها وقسم أجزاءها المتشابهة الي أجزاء مختلفة فاحكم
العظام فى أرجائها وحسن أشكال أعضائها ورتب عروقها وأعصابها ودبر
ظاهرها وباطنها وجعل فيها مجرى لغذائها ليكون ذلك سببا لبقائها مدة
حياتها ثم كيف رتب الاعضاء الباطنة من القلب والكبد والمعدة
والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل عضو بشكل مخصوص
ومقدار مخصوص لعمل مخصوص فجعل المعدة لنضج الغذاء عصبا
متينا شديداً لحاجتها وبذلك يمكن تقطيعه وطحنه وجعل طحن
الاضراس أولا معيناً المعدة على جودة طحنه وهضمه وجعل الكبد
لاحالة الغذاء الى الدم فيجذب منه الى كل عضو من الغذاء ما يناسبه
لغذاء العظم خلاف غذاء اللحم وغذاء العروق خلاف غذاء الأعصاب ثم
وغذاء الشعر خلاف غذاء غيره وجعل الطحال والمرارة والكلى خادمة
الكبد فالطحال لجذب السوداء والمرارة لجذب الصفراء والكليتان
منه والمثانة لقبول الماء عن الكلية ثم تخرجه فى مجرى الاحليل و

والكبد فى اتصال الدم منه الى سائر أطراف البدن وجعل جوهرها
اتقن من جوهر اللحم ليصونه ويحصره فهى بمنزلة الظروف والاوعية
ثم انظر كيف دبره فى الرحم ولطف به الطافا يطول شرحها ولا يستكمل
العلم بجملتها الاخالقها ويعجز الواصف عن وصف ماوصل اليه نظره من
ذلك . فمن ذلك جمله فيها لايحتاج الى استدعاء ولا يحتاج المولود الى
ما يبين ذلك لا بوعظ ولا تنبيه بل ذلك فى الطباع الى وقت حاجة المولود
الى الاغاثة فى غذائه ولولا ذلك لنفرت الامهات عنه من شدة التعب
وكلفة التربية حتى اشتد جسمه وقويت أعضاؤه الظاهرة والباطنة لهضم
الغذاء فحينئذ أنبت له الاسنان عند الحاجة اليها لا قبل ذلك ولا بعده ثم
انظر كيف خلق الله فيه التمييز والعقل على التدريج الى حين كماله وبلوغه
وانظر وفكر فى سر كونه يولد جاهلا غير ذى عقل وفهم فانه لو كان ولد
عاقلا فهما لانكر الوجود عند خروجه اليه حتى يبقى حيران تائه العقل
اذ رأى مالا يعرف وورد عليه مالم يره ولم يعهد مثله ثم كان يجد غضاضة
أن يرى نفسه محمولا وموضوعا معصبا بالخرق ومسجى فى المهد مع
وكونه لا يستغنى عن هذا كله لرقة بدنه ورطوبته حين يولد ثم كان لا يوجد
رحمة من الرقة والحلاوة والمحبة فى القلوب ما يوجد للصغير لكثرة اعتراضه
ماء فما ظن أختياره لنفسه فتبين ان ازدياد العقل والفهم فيه على التدريج
وكواكبها به . أفلا يرى كيف أقام كل شيء من الخلقه على غاية الحكمة
بعضها فى الصواب واعلمه تقلب الخطأ فى دقيقه وجليله ثم انظر فيما اذا

اشتد خلق فيه طريقا وسببا للتناسل وخلق في وجهه شعرا ليميزه عن
شبه الصبيان والنسوان ويجمله ويستر به غضون وجهه عند شيخوخته
وان كانت انثى ابقى وجهها نقيا من الشعر لتبقى لها بهجة ونضارة تحرك
الرجال لما فى ذلك من بقاء النسل . فكر الآن فيما ذكرناه ودبره
سبحانه فى هذه الاحوال المختلفة هل ترى مثل هذا يمكن ان يكون
مهملا أرأيت لولم يجر له الدم غذاء وهو في الرحم ألم يكن يذوى ويهلك
ويجف كما يجف النبات اذا انقطع عنه الماء ولو لم يزعجه المخاض عند
استكماله ألم يكن يهلك ببقائه فى الرحم هو وامه ولو لم يوافه اللبن عند
ولادته ألم يكن يموت جوعا وعطشا أو يغذى بما لا يوافق ولا يصلح
عليه بدنه ولو لم يخلق له الاسنان فى وقتها ألم يكن يمتنع عليه مضغ الطعام
وازدراده ويقيم على الرضاع ولا يشتد جسمه ولو لم يخرج له شعر الوجه
لبقى فى هيئة النساء والصبيان فلا ترى له هيبة ولا جلالة ولا وقارا ومن
ذا الذي يرصده حتى يوفيه بكل هذه المآرب في وقتها الا الذى أنشأه
بعد ان لم يكن شيئا مذكورا وتفضل عليه ومن عليه بكل هذه النعم .
فكر فى شهوة الجماع الداعية لاحيائه والآلة الموصلة الى الرحم النطفة
والحركة الموجبة لاستخراج النطفة وما فى ذلك من التدبير المحكم ثم
فكر في جملة اعضاء البدن وتهيئة كل عضو منها للارب الذي اريد منها
فالعينان للاهتداء بالنظر واليدان للعلاج والجذب والدفع والرجلان

للسمع والمعدة لهضم الطعام والكبد للتخليص والتمييز والفم للكلام
ودخول الغذاء والمنافذ لدفع الفضلات واذا تأملت كذلك مع سائر ما في
الانسان وجدته قد وضع على غاية الحكمة والصواب . فكر في وصول الغذاء
الى المعدة حتى تنضجه وتبعث صفوه الى الكبد في عروق دقاق قد جعلت
كالمصفاة للغذاء ولكيلا يصل الى الكبد منه شيء غليظ خشن فينكؤها
فانها خلقت دقيقة لا تحمل الغث فتقلبه باذن الله دما وتنفذ الى سائر البدن في
مجار مهيأة لذلك فيصل الى كل شيء من ذلك ما يناسبه من يابس ورخو
وغير ذلك فتبارك الله رب العالمين ثم ينفذ ما يكون من خبث وفضول
الى مفايض وأعضاء أعدت لذلك كما ذكرنا قبل هذا فكونها كالاوعية
تحمل هذه الفضلات لكيلا تنتشر في البدن فتسقمه ثم انظر هل تجد في
خلق البدن شيئا لا معنى له هل خلق البصر الا ليدرك الاشياء والالوان
فلو كانت الالوان ولم يكن بصر يدركها هل كان في الالوان منفعة ولو لم
يكن لخلق الابصار نور خارج عن نورها ما كان ينتفع بالبصر وهل خلق
السمع الا ليدرك الاصوات فلو كانت الاصوات ولم يكن سمع يدركها
لم يكن في الاصوات منفعة وكذلك سائر الحواس . فكر في أشياء
جعلت بين الحواس والمحسوسات لا يتم الحس الا بها منها الضياء والهواء
فلو لم يكن ضياء تظهر فيه المبصرات لم يدركها البصر ولو لم يكن هواء
يؤدي الصوت الى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت . فكر فيمن
عدم البصر والسمع وما يناله من الخلل فانه لا ينظر أين يضع قدمه

ولا يدري ما بين يديه ولا يفرق بين الالوان ولا يدري بهجوم آفة أو عدو
ولا سبيل له أن يتعلم أكثر الصناعات وأما من عدم السمع فانه يفقد
روح المخاطبة والمحاورة ويعدم لذة الاصوات المستحسنة والالحان المطربة
وتعظم المؤونة على من يخاطبه حتى يتبرم منه ولا يسمع شيئا من أخبار
الناس وأحاديثهم حتى يصير كالغائب وهو شاهد وكالميت وهو حي وأما
من عدم العقل فهو شر من البهائم فانظر كيف صارت هذه الجوارح
وهذه الاوصاف التي بها صلاح الانسان محصلة ومبلغة لجميع مآربه
ومتممة لجميع مقاصده واذا فقد شيئا اختل أمره وعظم مصابه ومن بلي
بفقد شيء منها فهو تأديب وموعظة وتعريف بقدر نعمة الله في حقه
وحق أمثاله ولينال بصبره على ذلك حظا في الآخرة فانظر الى رحمة الله
كيف توجد في العطاء والمنع . ثم فكر في الاعضاء التي خلقت أفرادا
وأزواجا وما في ذلك من الحكمة والصواب فالرأس مما خلق فردا وان
كثيراً من الحواس قد حوتها رأس واحدة ولو زاد عليه شيء كان ثقلا
لا يحتاج اليه فان كان قسمين فان تكلم أحدهما بقي الآخر معطلا
لا حاجة اليه وان تكلم منهما جميعا بكلام واحد كان أحدهما فضلة لا يحتاج
اليها وان تكلم من أحدهما بخلاف ما يتكلم به من الآخر لم يدر السامع
مراده من ذلك وانما الذي يأخذ به السامع هو ما كان واضحا واليدان
خلقتا أزواجا ولم يكن للانسان خير في أن يكون بيد واحدة لاختلال
ما يعالجه من الامور فانك ترى من شلت احدى يديه ما يكون عنده

من النقص وان يكلف بشيء لم يحكمه ولا يبلغ مايبلغ صاحب اليدين
وحكمة الرجلين ظاهرة . فكر فى تهيئة آلات الصوت فالحنجرة
كالأنبوبة لخروج الصوت واللسان والشفتان والأسنان لاصاغة الحروف
والفم ألا ترى ان من سقطت أسنانه أو أكثرها كيف يحصل الخلل
فى كلامه . ثم انظر الى ما فى الحنجرة من المنفعة لسلوك النسيم منها
للرئة فتروح على الفؤاد بهذا النفس المتتابع وما فى اللسان من تقليب
الطعام واعانته على تسويغ الطعام والشراب وما فى الاسنان من المعونة
أيضاً ثم هى كالسند للشفتين تمسكهما وتدعهما من داخل الفم وبالشفتين
يرتشف الشراب حتى يكون مايدخله الى الجوف بقصد وبقدر مايختاره
الانسان ثم هما على الفم كالباب فقد تبين ان كل عضو من هذه الاعضاء
ينصرف الى وجوه من المآرب وضروب من المصالح إن زاد أفسد وإن
نقص أفسد فذلك تدبير العزيز العليم . فكر فى الدماغ اذا كشف عنه
فانك تجده قد لف بعضه فوق بعض ليصونه من الاعراض وأطبقت
عليه الجمجمة والشعر ستر لها وجمال وليبعد عنها ما يؤذيها من حر وبرد
وغير ذلك فحصن سبحانه وتعالى الدماغ هذا التحصين لعلمه بانه مهم وانه
مستحق لذلك لكونه ينبوع الحس . ثم انظر كيف غيب الفؤاد فى
جوف الصدر وكساه المدرعة التى هى غشاؤه وأتقنها وحصنه بالجوانح
وما عليها من اللحم والعصب لشرفه وان ذلك اللائق به . ثم انظر كيف
جعل فى الحلق منفذين أحدهما للصوت وهو الحلقوم الواصل الى الرئة

والآخر للغذاء وهو المريء الواصل الى المعدة وجعل على الحلقوم طبقاً
يمنع الطعام أن يصل اليه ثم جعل الرئة مروحة للفؤاد لا تفتر ولا تخل
تأخذ وترد بغير كلفة لئلا تنحصر الحرارة فى القلب فتؤدى الى التلف
ثم ملأ الجو هواء لهذه المصلحة ولغيرها . ثم انظر كيف جعل لمنافذ
البول والغائط أسراحا تضبطها لكى لا يجرى جريانا دائماً فيفسد على
الانسان عيشته . ثم انظر كيف جعل لحم الفخذين كثيراً كثيفاً ليقى
الانسان من ألم الجلوس على الارض كما يألم من الجلوس من نحل جسمه
وقل لحمه اذا لم يكن بينه وبين الارض حائل . انظر لو كان ذكر الرجل
مسترخياً أبداً كيف يصل الماء الى موضع الخلق ولو كان منعظا أبداً
كيف يكون حاله فى تصرفاته وهو كذلك بل جعله مستوراً كأنه لم تخلق
له شهوة . ثم انظر أليس أنه من حسن التدبير فى البناء أن يكون الخلاء
أستر موضع فى الدار فلهذا اتخذ المنفذ المهيأ لقضاء حاجة الانسان
في أستر موضع من جسده مغيب فيه يلتقي عليه فخذاه بما عليهما من
اللحم فيواريه به ويخفى ذكره وذلك مخصوص بالانسان لشرفه . ثم
انظر فى خلق الشعر والاظفار لما كانا يطولان وفي تقصيرهما مصلحة
جعلا عديمى الحس حتى لا ينال الانسان ألم عند التزين بقصهما ولولا
هذه الحكمة لكان بين أمرين اما أن يدعهما على حالهما فتتشوه خلقه
أو يزيل ذلك فيتألم بازالته . ثم تفكر فى الشعور لو نبتت فى العين

لفقدت لذة اللمس وبعض الأعمال أو فى الفرج لكدرت لذة الجماع
مع قبول هذه المواضع لنباتها فيها فسبحان المدبر المنعم بهذه النعم .
فانظر كيف قصد بهذا الخلق طريق الصواب وتجنب الخطأ والضرر
ثم فيما جبل عليه الانسان من الاحتياج الى المطعم والنوم والجماع وما
فى ذلك من التدبير المحكم فقد جعل في طبعه محرك يقتضيه ويستحثه
فالجوع والعطش يقتضيان طلب الطعام الذي به حياته وكذلك الشراب
الذى به قوامه والنوم فيه راحة البدن وعموم القوى والشبق يقتضي الجماع
الذى به دوام النسل وبقاؤه فلو كان الانسان انما يتناول الطعام والشراب
لمعرفته بالحاجة اليه ولم يجد من طباعه ما يلجئه اليه لاشتغل بأسباب
ضرورته فتنحل قواه ويهلك كما أنه قد يحتاج الى دواء يكرهه وفيه
صلاحه وليس فى جبلته داعية له فيدافع في تناوله فيمرض أو يموت
فكذلك لو كان يفعل النوم ويدخله على جسمه باختياره لتشاغل عنه ببعض
مهماته فيهلك جسمه بالتعب والنصب وكذلك لو كان إقدامه على الجماع
انما هو لرغبة حصول الولد لانقطع النسل لما يعارضه من الاسباب المشغلة
فانظر كيف جعل فيه بالطبع ما يضطره الى حصول هذه الفوائد .
انظر كيف رتبت هذه القوي بهذا الترتيب المحكم العجيب فصار البدن
بما فيه بمنزلة دار لملك فيها حشم وقوم موكلون بالدار فواحد لامضاء
حوائج الحشم وايراد ماء لهم وآخر لقبض ما يرد وخزنه الى أن يعالج
[illegible]

لكسح ما فى الدار من الاقذار واخراجه فالملك فى هذا المثل هو الخالق
العليم سبحانه والدار هي البدن والحشم هى الاعضاء والقوم فى هذه القوى
الاربع التى هى النفس وموقعها من الانسان بمعنى الفكر والوهم والعقل
والحفظ والغضب وغير ذلك أرأيت لو نقص من الانسان من هذه
الصفات الحفظ وحده كيف كان يكون حاله كان لا يحفظ ماله وما عليه
وما أصدر وما أورد وما أعطى وما أخذ وما أرى وما سمع وما نال وما
قيل له ولم يذكر من أحسن اليه ولا من أساء له ولا من نفعه ممن ضره
وكان لا يهتدى لطريق ولو سلكه ولا لعلم ولو درسه ولا ينتفع بتحريره
ولا يستطيع أن يعتبر بمن مضى فانظر الى هذه النعم كيف موقع الواحدة
منها فكيف جميعها . وأعجب من نعمة الحفظ نعمة النسيان فلولا
النسيان ما سلا الانسان عن مصيبة فكان لا ينقص له حسرة ولا يذهب
عنه حقد ولا يستمتع بشىء من لذات الشهوات الدنيوية مع تذكر
الآفات والفجائع المغضبات وكان لا يمكن ان يتوقع غفلة من ظالم ولا فترة
ولا ذهولا من حاسد أو قاصد مضرة فانظر كيف جعل الله فيه سبحانه
الحفظ والنسيان وهما متضادان وجعل للانسان فى كل منهما ضروبا من
المصالح . ثم انظر الي ما خصه به دون غيره من الحيوان من الحياء
فلولاه لم تقل العثرات ولم تقض الحاجات ولم يقر الضيف ولم يرغب فى
الجميل فيفعل ولا يتجافى عن القبيح فيتركه حتى أن كثيرا من الامور
الواجبة انما تفعل لسبب الحياء من الناس فترد الامانات وتراعى حقوق

لوالدين وغيرهما ويعف عن فعل الفواحش الى غير ذلك من أجل الحياء
فانظر ما أعظم موقع هذه النعمة فى هذه الصفة . وانظر ما أنعم الله به
من النطق الذى يميز به عنه البهائم فيعبر بها فى ضميره ويفهم عن غيره
ما فى نفسه . وكذلك نعمة الكتابة التى تقيد أخبار الماضين للباقين
وأخبار الباقين للآتين وبها تخلد فى الكتب العلوم والآداب ويعلم
الناس ذكر ما يجرى بينهم فى الحساب والمعاملات ولولا الكتابة لانقطعت
أخبار بعض الأزمنة عن بعض ودرست العلوم وضاعت الفضائل
والآداب وعظم الخلل الداخل على الناس في أمورهم بسبب عدمها فان
قلت ان الكلام والكتابة مكتسبة للانسان وليست بأمر طبيعي
ولذلك تختلف الخطوط بين عربى وهندي ورومي الى غير ذلك وكذلك
الكلام هو شيء يصطلح عليه فلذلك اختلف . قلنا ما به تحصل الكتابة
من اليد والاصابع والكف المهيأ للكتابة والذهن والفكر الذى يهتدى
به ليس بفعل الانسان ولولا ذلك لم يكن ليكتب أبداً فسبحان المنعم
عليه بذلك وكذلك لولا اللسان والنطق الطبيعى فيه والذهن المركب فيه
لم يكن ليتكلم أبداً فسبحان المنعم عليه بذلك . ثم انظر الى حكمة الغضب
المخلوق فيه يدفع عن نفسه به ما يؤذيها وما خلق فيه من الحسد فيه
يسعى فى جلب ما ينتفع به غير أنه مأمور بالاعتدال فى هذين الأمرين
فان جاوز الحد فيهما التحق برتبة الشياطين بل يجب أن يقصر فى حالة
الغضب على دفع الضرر وفى الحسد على الغبطة وهى ارادة ما ينفعه من

غير مضرة تلحق غيره . ثم انظر ما أعطى وما منع مما فيه أيضاً صلاحه
فمن ذلك الأمل فبسببه تعمر الدنيا ويدوم النسل ليرث الضعفاء عن
الأقوياء منافع العمارة فان الخلق أول ما يخلق ضعيف فلولا أنه يجد
آثار قوم أملوا وعمروا لم يكن له محل يأوى اليه ولا آلة ينتفع بها
فكان الأمل سبباً لعمل الحاضرين ما يقع به انتفاع الآتين وهكذا يتوارث
الى يوم الدين ومنع الانسان من علم أجله ومبلغ عمره لمصلحة فانه لو علم
مدة حياته وكانت قصيرة لم تهنه الحياة ولم ينشرح لوجود نسل ولا عمارة
أرض ولا لغير ذلك ولو علمها وكانت طويلة لانهمك فى الشهوات
وتعدى الحدود واقتحم المهلكات ولعجز الوعاظ عن ايقافه وزجره عما
يؤديه الى اتلافه فكان في جهله بمدة عمره مصلحة حصول الخوف
بتوقع هجوم الموت ومبادرة صالح الأعمال قبل الفوت . ثم انظر الى
ما ينتفع به مما فيه مصالحه وملاذه من أصناف الاطعمة على اختلاف
طعومها وأصناف الفواكه مع اختلاف ألوانها وبهجتها وأصناف المراكب
ليركبها ويحصل منافعها وطيور يلتذ بسماعها ونقود وجواهر يقتنيها
ويصل بها الى أغراضه ويجدها فى مهماته وعقاقير يستعملها لحفظ صحته
وبهائم لمآكله ولغير ذلك من أموره من حرث وحمل وغير ذلك وأزهار
وغيرها من العطريات يتنعم بروائحها وينتفع بها وأصناف من الملابس
على اختلاف أجناسها وكل ذلك ثمرة ما خلق فيه من العقل والفهم
فانظر ماذا ركب الله فيه من العجائب . ومن الحكمة البالغة اختلاف

العباد في تملك ما ينتفع به بنو آدم ليتميز منهم الفقير عن الغني فيكون
ذلك سبباً لعمارة هذه الدار ويشتغل الناس بسبب ذلك عما يضرهم في
غالب الاحوال فمثالهم فيما اشتغلوا به مثال الصبي فانه يشتغل لنقص عقله
فيما يضر به نفسه ولا يتفرغ فيكون فراغه وبالا عليه وكم عسى أن يعد
العاد من الحكم واللطائف التي يقصد بها قوام العالم وبقاؤه الى الاجل
المعلوم وهي مما لا تدخل تحت حد ولا يحصرها عد ولا يعلم منتهى
حقائقها واحصاء جملتها الا الحكيم العليم الذي وسعت رحمته وعلمه
كل شيء وأحصى كل شيء عدداً

﴿ خاتمة لهذا الباب ﴾

اعلم أن الباري سبحانه وتعالى شرف هذا الآدمي وكرمه فقال سبحانه
(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلا) فكان من أعظم ما شرفه به وكرمه العقل الذي
تنبه به على البهيمة وألحقه بسببه بعالم الملائكة حتى تأهل به لمعرفة باريه
ومبدعه بالنظر في مخلوقاته الاستدلال به على معرفة صفاته بما أودعه في
نفسه من حكمة وأمانة قال الله العليم (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)
فكان نظره في نفسه وفيما أودع الباري سبحانه فيه من العقل الذي يقطع
بوجوده فيه ويعجز عن وصفه من أعظم الدلالات عنده على وجود باريه
ومدبره وخالقه ومصوره فانه ينظر في العقل وكيف وفيه التدبير وفنون
العلم ومستقر المعرفة وبصائر الحكمة والتمييز بين النفع والضر

القطع بوجوده لا يرى له شخصاً ولا يسمع له حساً ولا يجس له مجساً
ولا يشم له ريحاً ولا يدرك له صورة ولا طعم وهو مع ذلك آمر ومطاع
وزاجر ومفكر ومشاهد للغيوب ومتوهم للامور اتسع له ما ضاق عن
الابصار ووسع له ما ضاقت عنه الاوعية يؤمن بما غيبه حجب الله سبحانه
مما بين سمواته ومافوقها وأرضه وماتحتها حتى كأنه شاهده أبين من رأى
العين فهو موضع الحكمة ومعدن العلم كلما ازداد علما ازداد سعة وقوة
يأمر الجوارح بالتحرك فلا يكاد أن يميز بين الهمة بالحركة وبين التحرك
بسرعة الطاعة أيهما أسبق وان كانت الهمة قبل وهو مع تدبيره وعلمه
وحكمته عاجز عن معرفة نفسه اذ لا يمكنه أن يصف نفسه بنفسه
بصفة وهيئة أكثر من الاقرار بأنه مسلم للذي وصفه للعلم به ومقر بالجهل
بنفسه وهو مع جهله بنفسه عالم حكيم يميز بين لطائف التدبير ويفرق
بين دقائق الصنع وتجري الامور وقد تدبرها ويتوهم العواقب ويمثلها ويدل
على الامور على اختلافها فدل جهله بنفسه وعلمه بما يدبر ويميز أنه مركب
مصنوع مصور مدبر مقهور لانه مع حكمته واتقاد بصيرته عاجز مهين
يريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد أن ينساه فيذكره ويريد أن يسر فيحزن
ويريد أن يغفل فيذكر ويريد أن يتنبه ويتيقظ فيسهو ويغفل دلالة على
أنه مغلوب مقهور وهو مع ما علم جاهل بحقائق ما علم ومع ما دبر لا يدري
كم مدا مبلغ صوته ولا كيف خروجه ولا كيف اتساق حروف كلامه ولا كم
ولا كيف أدرك الاشخاص ولا كم

قدر قوته ولا كيف تركبت ارادته وهمته فاستدل بعلمه وجحده عن
حقيقة ماعلم انه مصنوع بصنعة متقنة وحكمة بالغة تدل على الصانع
الخالق المريد العليم عز وجل .. ثم أنه خلق في الانسان الهوى موافقا
لطباعه فان استعمل نور العقل فيما أمر به ورد مورد السلامة وفاز غدا
بدار الكرامة وان استعمله في اغراض نفسه وهواها حجب عن معرفة
أمور لايدركها غيره مع ماهو متوقع له في الدار الآخرة من الثواب
والحجاب والعقاب وهو الآلة له في عمل الصنائع وتقديرها على نحو
ماقدرها ودبرها في ذهنه وتخيله واستنباط مايستنبط بدقيق الفكر
ومعرفة مكارم الاخلاق الموجوده في كل أمة وزمان واستحسان
مايحسن في عوائد العقلاء والفضلاء وتقبيح مايقبح عندهم بحكم الاعتياد .
فانظر ما شرف هذا الانسان أن خلق فيه مايفيده هذه المعارف فان
الاواني تشرف بشرف ما يوضع فيها ولما كانت قلوب العباد هي محل
المعرفة بالله سبحانه شرفت بذلك ولما سبق في علم الباري سبحانه
وارادته وحكمه بمصير الخلق الى دار غير هذه الدار ولم يجعل في قوة
عقولهم مايطلعون به على احكام تلك الدار بل كمل لهم سبحانه هذا
النور الذي وهبهم اياه بنور الرسالة اليهم فارسل الانبياء صلوات الله
عليهم مبشرين لاهل طاعته ومنذرين لاهل معصيته فمدهم بالوحي
وهيأهم لقبوله وتلقيه فكانت انوار ماجاء به الوحي من عند الله بالنسبة
الى نور العقل كالشمس بالاضافة الى نور النجم فدلوا العباد على [illegible]

دنياهم فيما لا تستقل بادراكه عقولهم وارشدوهم الى مصالح أخراهم التي
لا سبيل للعباد ان يعرفوها الا بواسطتهم واظهر لهم سبحانه من
الدلائل على صدق ماجاؤا به ماأوجب الاذعان والانقياد لصدق أخبارهم
فتمت بذلك نعمة الله على عباده وظهرت كرامته وثبتت حجته عليهم ..
فانظر ما اشرف الآدمي ونسله الذين ظهرت منه هؤلاء الفضلاء الذين
هم قابلون هذه الزيادة الفاضلة ثم تضافرت أنوار الشرائع التي هي
كالشمس وأنوار العقول التي هي كالنجم فتمت سعادة من سبق له من
الله الحسنى وشقاوة من كذب ولم يرد الا الحياة الدنيا .. ثم ان الله
تبارك وتعالى من على الانسان بان خصه برؤيا يراها في منامه أوفي عينه
كشبه المنام يمثل له فيها بأمثلة معهودة من جنس مايعرفه وهي مبشرة
أو منذرة له لما يتوقعه بين يديه كل ذلك مواهب وكرامات من جود
الله سبحانه وجعل الله استقامته على الطاعة في قلبه وجوارحه سببا لصدقها
في غالب الامر ليتعظ أو يقدم على الامور أو يحجم عنها وهي الامور
التي انفرد الله بعلم العاقبة فيها واطلع على بعض الامور منها من شاء

﴿ باب في حكمة خلق الطير ﴾

قال الله سبحانه وتعالى (ألم تروا الى الطير مسخرات في جو السماء
مايمسكهن الا الله) اعلم رحمك الله ان الله تعالى خلق الطير وأحكمه حكمة
تقتضي الخفة للطيران ولم يخلق فيه ما يثقله وخلق فيه مايحتاج اليه وما
فيه قوامه وصرف غذاءه فقسم لكل عضو منه ما يناسبه فان كان رخوا

أو يابساً أو بين ذلك انصرف الى كل عضو من غذائه ما هو لائق به
تخلق للطير الرجلين دون اليدين لضرورة مشيه وتنقله واعانة له في ارتفاعه
عن الارض وقت طيرانه وجعلها واسعة الاسفل لتثبت في موطن على
الارض وهي خف فيه أو بعض أصابع مخلوقة من جلد رقيق صلب من نسبة
جلد ساقيه وجعل جلد ساقيه غليظا متقنا جداً ليستغني به عن الريش
في الحر والبرد وكان من الحكمة خلقه على هذه الصفة لانه في رعيه
وطلب قوته لا يستغنى عن مواضع فيها الطين والماء فلو كسيت ساقاه
بريش لتضرر ببلله وتلويثه فأغناه سبحانه عن الريش في موضع لا يليق
به حتى يكون مخلصاً للطيران وما خلق من الطير ذا أرجل طوال جعلت
رقبته طويلة لينال غذاءه من غير حرج بها إذ لو طالت رجلاه وقصر
عنقه لم يمكنه الرعى لا في البراري ولا في البحار حتى ينكب على صدره
وكثيراً ما يعان بطول المنقار أيضاً مع طول العنق ليزداد مطالبه عليه
سهولة ولو طال عنقه وقصرت رجلاه أثقله عنقه واختل رعيه وخلق
صدره وجعل دائره ملفوفا مرتبا على عظم كهيئة نصف دائرة حتى
يخرق في الهواء بغير كلفة وكذلك رؤوس أجنحته مدورة اعانة له على
الطيران وجعل لكل جنس من الطير منقاراً يناسب رعيه ويصلح لما
يغتذى به من تقطيع ولقط وحفر وغير ذلك فمنه مخلب للتقطيع خص
به الكواسر وما قوته اللحم ومنها عريض مشرشر جوانبه تنطبق على
ما يلتقطه انطباقا محكما ومنه معتدل اللقط لأكل الخضر ومنه طويل

المنقار للحفر وجعله صلباً شديداً شبه العظم وفيه ليونة ما هي في العظم
لكثرة الحاجة الى استعماله وهو مقام الاسنان في غير الطير من الحيوان
وقوى سبحانه أصل الريش وجعله قصباً منشوبا فيما يناسبه من الجلد
الصلب في الاجنحة لأجل كثرة الطيران ولأن حركة الطيران قوية
فهو محتاج الى الاتقان لأجل الريش وجعل ريشه وقاية مما يضره من
حر أو برد ومعونة لتخلله الهواء للطيران وخص الأجنحة بأقوى الريش
وأثبته وأتقنه لكثرة دعاء الحاجة اليه وجعل في سائر بدنه ريشا غيره
كسوة ووقاية وجمالا له وثبت أصل جميعه لانه جبيرته وجماله وجعل في
ريشه من الحكمة أن البلل لا يفسده والادران لا توسخه فان أصابه
ماء كان أيسر انتفاض يطرد عنه بلله فيعود الى خفته وجعل له منفذاً
واحداً للولادة وخروج فضلاته لأجل خفته وخلق ريش ذنبه معونة
له على إستقامته في طيرانه فلولاه لما مالت به الاجنحة في حال الطيران
يمينا وشمالا فكان له بمنزلة رجل السفينة التي يعدل بها سيرها وخلق
في طباعه الحذر وقاية لسلامته ولما كان طعامه يبتلعه بلعا بلا مضغ جعل
لبعضه منقاراً صلبا يقطع به اللحم ويقوم له مقام ما يقطع بالمدية وصار
يزدرد ما يأكله صحيحاً وأعين بفضل حرارة في جوفه تطحن الطعام
طحناً يستغنى به عن المضغ وثقل الاسنان واعتبر ذلك بحب العنب وغيره
فانه يخرج من بطون الحيوان صحيحاً وينسحق في أجواف الطير ثم
أنه خلقه يبيض ولا يلد لئلا يثقل عن الطيران فانه لو خلقت فراخه في

جوفه حتى يكمل خلقها لثقل بها وتعوق بهـا عن النهوض للطيران .
أفلا ترى كيف دبر كل شيء من خلقه بما يليق به من الحكمة . انظر
الى من أنزله وألهمه الرقاد على بيضه فيحضنه مدة الحضانة من ألهمه أن
يلتقط الحب فاذا ماع فى باطنه غذى به أفراخه وهذا نوع من الطير ثم
انظر هذا كيف احتمل هذه المشقة وليست له روية ولا فكر في عاقبة
ولا له أمل يأمله فى أفراخه كما يأمل الانسان فى ولده من العز والرفد
وبقاء الذكر فهل هذا قطعاً الا الهام الهي من فعل الله سبحانه . انظر
كيف ألهم معرفة حمل الأنثى منه بالبيض فألهموا حينئذ حمل الحشيش
وتوطئته فى موضع التحضين والولادة لتكون الرطوبة والتوطئة تحفظ
البيض ويكون البيض محفوظا فى المهاد الذى يمهدونه ويستحسنونه فى
حال تحضينه . انظر الى الحمام كيف ألهم معرفة كمال الفرخ وانتهاء
تحضينه للبيض حتى يكشف عن الفرخ ويخرجه وان اتفق فى البيض
فساد بسبب عرق قام وتركه . ثم انظر الهامه بما يزق به فرخه فانه أولا
يزقه بالريح لتستعد حوصلته لقبول ما يوضع فيها ثم بعد ذلك يزقه من
من أول هضم ثم إذا ماع الغذاء فى حوصلته يزقه به حتى بدرجه ويفعل
ذلك مراراً حتى يملأ حوصلته فانه لو أوصله اليه حبا صحيحا لعجز عن
هضمه لضعف جسده فانظر ان كان هذا من فعل الطير وحكمته .
ثم انظر عند خروج الفرخ من البيضة كيف يسنده الى جنبه لئلا يفقد
الحرارة دفعة واحدة فيضر ذلك به ومن الطير ما يخلق على هيئة أخرى

الحكمة أخرى ولتعلم أن قدرة الله لاتنحصر فى نوع واحد بل لكل خلق
له حكم يقوم بمصلحة ذلك الشيء وذلك أن الدجاج مافيهم أهلية الزق بل
جعلت فراخهم يلتقطون غذاءهم عند خروجهم من البيضة . ثم انظر فى
الحمام الذكر والانثى كيف يتداولان على التسخين خوف أن يفسد بيضهم
فيعقب هذا صاحبه كأن لهم علما بان عدم هذا التدبير يفسد به بيضهم .
ثم انظر الى خلق البيضة وما فيها من الحكم لله ففيها المح الاصفر الخاثر
والماء الابيض الرقيق فبعضه لينشأ منه جسده وبعضه يغتذى به الى أن
تنشق عنه ومافى ذلك التدبير من الحكم العجيبة وكيف جعل معه غذاءه فى
بيضه مغلقة تلتقى به الى حين كماله فيها وخروجه منها ثم انظر في حوصلة
الطائر وما فى خلقها من التدبير فان مسلك طعامه الي القانصة ضيق لاينفذ
اليه الا قليلا قليلا فلو كان لا يلتقط حبة حتى تصل الاولى الى القانصة لطال
الامر عليه مع مافيه من شدة الحذر وتجنبه ما يؤذيه فصار مايحتكره
احتراسا لشدة حذره فجعلت له الحوصلة كالمخلاة المعلقة امامه ليودع
فيها ما ادرك من الطعام بسرعة ثم ينفذه الى القانصة على مهل وفيها
حكمة أخرى فأن الطير الذى يزق أفراخه يكون رده الطعام من
أسهل عليه ثم تأمل ريش الطائر فانك تجده منسوجا نسج الثوب
من سلوك رقاق وفيها من اليبس ما يمسك ماحولها ومن اللين مالا
تنكسر معه وهى خاوية قد الف بعضها الى بعض كتأليف الخيط الى

الخيط والشعر الى الشعر ثم تجده اذا فتحته أعنى النسيج ينفتح قليلا
ولا ينشق ليدخله الريح فيثقله عن طيرانه وتجد فى وسط الريشة عموداً
غليظاً يابساً مثبتا قد نسج عليه كهيئة الشعر ليمسكه بصلابته فلو
عدم ذلك وعرضت الريشة دونه لفسخها مايقابلها من الهواء وهى مع
صلابتها مجوفة ليخف عليه طيرانه . أنظر الى الطائر الطويل الساقين
والحكمه فى طولهما أنه يرعى أكثر رعية فى ضحضاح كأنه فوقه مرقب
يتأمل مايدب فى الماء فاذا رأى شيئاً من حاجته خطا خطوا رفيقا حتى
يتناوله فلو كان قصير الساقين لكان حين يخطو الى الصيد يصل بطنه الى
الماء فيهزه فيذعر منه الصيد فيبعد عنه . أنظر إلى العصافير وغيرها فانها
تطلب رزقها طول نهارها فلاهى تفقده ولا هى تجده مجموعا في محله وهو
أمر جار على سنة الله فى خلقه فان صلاحهم فى السعى فى طلب الرزق
فان الطير لو وجده ميسرا اكب عليه ولا يقلع عنه حتى يمتلىء فيثقل عن
الطيران ولا يستطيع رده أعنى قذفه من بطنه مثل طير الماء الكبير فانه
يأكل السمك فاذا امتلا منه وأزعجه مزعج تقيأه حتى يخف للطيران
وكذلك الناس أيضاً لو وجدوه بلا سعى لتفرغوا له فراغا يوقعهم فى غاية
الفساد . انظر الى هذه الاصناف من الطير التى لا تخرج الا ليلا مثل
البوم والهام والخفاش فأن عيشها يتيسر فى الجو كالبعوض والفراش
وشبهه فانها تبثه فى هذا الجو فجعل عيشه فى موضع أقرب اليه من
الارض ولما نوده لا يمنعه أن يلتقط من الارض بدلها أنه لا نظير فى

نور الشمس الا مختفياً فالهم ان يعيش في الجو من الفراش وغيره أنظر
الى الخفاش لما خلق بغير ريش كيف خلق له مايقوم مقامه وجعل له فم
وأسنان وكل مافى البهائم الارضية من الولادة وغيرها وأقدره على الطيران
فاظهر سبحانه فيه ان قدرته على الطيران لا تقتصر على ماخلق له الريش
ولا تنحصر فى نوع واحد لانه خلق هذا النوع وخلق من السمك جنسا
يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل الماء فسبحان القادر العليم
أنظر الى الذكر والانثى من الحمام كيف يتعاونان على الحضانة فاذا احتاج
أحدهما الى قوته ناب الاخر الى اخر وقت الحضانة ثم ألهمهما الحرص
على الحضانة فلا يطيلان الغيبة على البيض اذا خرجا لنيل القوت حتى
أنهما يجتمع فى أجوافهما البراز للحرص على الرقاد فاذا اضطره خروج
البراز أخرجه دفعة واحدة ثم أنظر الى حرص الذكر حين تحمل الانثى
بالبيض ويقرب أوان وضعها كيف يطردها وينقرها ولا يدعها تستقر
خارجا عن الوكر خشية ان تضع البيض فى غير الموضع المهيا لوضعه .
أنظر كيف يزق أفراخه ويعطف عليها مادامت محتاجة الى الزق حتى
اذا كبرت واشتدت ولقطت واستغنت عن أبويها صارت اذا تعرضت
له لنيل ما اعتادت ضربها وصرفها عن نفسه واشتغل بغيرها . ثم انظر
ماخلق الله تعالى فى الكواسر من شدة الطيران حتى لا يسبق له من يطلبه
ومن قوة المخالب وحدته فى المنقار والاظفار فكأن مخلبها مدية للقطع وكأن
مخلب أرجلها خطاطيف يعلق فيها اللحم حتى تصل الى [illegible]

قوتها . أنظر الى طير الماء لما جعل قوته فى الماء كيف جعل فيه قوة
السباحة والغطس ليأخذ من جوف الماء رزقه فجعل سبحانه وتعالى
لكل صنف من الطيور مايليق به فى تحصيل قوته

﴿ باب فى حكمة خلق البهائم ﴾

قال الله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) اعلم
وفقك الله وايانا أن الله خلق البهائم لمنافع العباد امتنانا عليهم كما نبهت على
ذلك هذه الاية فخلقها الله بلحم مثبت على عظام صلبه تمسكه وعصب شديد
وعروق شداد وضم بعضها الى بعض ولم يجعلها لينة رخوة ولا صلبة كصلابة
الحجاره وجعل فوق ذلك جلداً اشتمل على أبدانها كلها لتضبطها وتتقنها
لانها أريد منها القوه للعمل والحمل ثم خلقها سبحانه سميعة بصيرة ليبلغ
الانسان حاجته منها لانها لو كانت عمياء صماء لم ينتفع بها الانسان ولا وصل
بها الى شيء من مآربه ثم منعت العقل والذهن حكمة من الله لتذل للانسان
فلا تمتنع عليه اذا كدها عند حاجته الى اكدادها في الطحن وحمل الاثقال
عليها الى غير ذلك وقد علم الله أن بالناس حاجة الى أعمالها وهم لا يطيقون
إعمالها ولا يقدرون عليها ولو كلف العباد القيام بأعمالها لاجهدهم ذلك
واستفرغ قواهم فلا يبقى فيهم فضلة لعمل شيء من الصناعات والمهن التى
يختصون بعملها وخلقهم قابلة لها ولا غنى لهم عنها وتحصيل الفضائل من
العلوم والآداب ولو كان ذلك مع اتعابه لابدانهم يضيق عليهم معايشهم
[illegible] النعم العظيمة أنظر فى خلق أصناف

من الحيوان وتهيئتها لما فيه صلاح كل صنف منها فبنو آدم لما قدروا أن
يكونوا ذوى علاج للصناعات واكتساب للعلوم وسائر الفضائل ولا غنى
لهم عن البناء والحياكة والنجارة وغير ذلك خلقت لهم العقول والاذهان
والفكر وخلقت لهم الاكف ذوات الاصابع ليتمكنوا من القبض على
الاشياء ومحاولات الصناعات * وآكلات اللحم لما قدر أن يكون عيشها
من الصيد ولا تصلح لغيره خلقت لها مخالب وسرعة نهضة وانياب *
وآكلات النبات لما قدر أن تكون غير ذات صنعة ولا صيد خلقت
لبعضها اظلاف كفتها خشونة الارض اذا جالت فى طلب المرعى ولبعضها
حوافر مستديره ذات قعر كأخمص القدمين لتنطبق على الارض وتتهيأ
للحمل والركوب . تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان كيف
خلقت ذوات أسنان حداد وأضراس شداد وأفواه واسعة وأعينت
بسلاح وأدوات تنال بذلك ماتطلبه فان ذلك كله صالح للصيد فلو كانت
البهائم التى عيشها النبات ذوات مخالب وأنياب كانت قد أعطيت
مالا تحتاج اليه لانها لا تصطاد ولا تأكل اللحم ولو كانت السباع ذوات
أظلاف كانت قد منعت ماتحتاج اليه من السلاح الذى به تصطاد . فانظر
كيف أعطى سبحانه كل واحد من أصناف الحيوان ما يشاكله وما فيه
صلاحه وحياته أنظر الى أولاد ذوات الاربع كيف تجدها تتبع الامهات
مستقلة بنفسها لا تحتاج الى تربية وحمل كما يحتاج الآدميون اذ لم يجعل
في أمهاتها ماجعل في أمهات البشر من العقل والعلم والرفق في أحوال

التربية والقوة عليها بالفكر والاكف والاصابع المهيأة لذلك ولغيره فلذلك
أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها ولذلك ترى فراخ بعض الطير
مثل الدجاج والدراج تدرج وتلقط عقيب خروجها من البيضة وما كان
منها ضعيفا لا نهوض له مثل فراخ الحمام واليمام جعل فى الامهات عطف
عليها فصارت توعى الطعام فى حواصلها ثم تمجه فى أفواه فراخها ولا تزال
كذلك حتى تنهض وتستقل فكل أعطى من اللطف والحكمة بقسط
فسبحان المدبر الحكيم . انظر الى قوائم الحيوان كيف يتنقل أزواجا
لتهيأ للمشى فلو كانت افراداً لم تصلح لذلك لان الماشى منها ينقل بعضه
ويعينه على مشيه اعتماده على ما لم ينقله منها فذو القائمتين ينقل واحدة
ويعتمد على الاخرى وذو الاربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين وذلك
من خلاف لانه لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه ويعتمد على قائمتين
من الجانب الآخر لم يثبت على الارض كالسرير ولو كان يرفع يديه
ويتبعهما برجليه لفسد مشيه فجعل ينقل اليمنى من مقدمه على اليسرى
من مؤخره ويعتمد على الاخريين من خلاف أيضاً فيثبت على الارض
ولا يسقط اذا مشى لسرعة التحاقهما فيما بين المشى والاعتماد أما ترى الحمار
يذل للحمولة والطحن والفرس مبرأ منها والبعير لا تطيقه عدة رجال لو
استعصى وينقاد لصبى صغير والثور الشديد يذعن لصاحبه حتى يضع
النير على عنقه ليستحرثه والفرس تركب ويحمل عليها السيوف والاسنة
في الحرب وقاية لراكبها والقطيع من الغنم يرعاها صبي واحد فلو تفرقت

فأخذت كل شاة منها جهة لنفورها لتعذرت رعايتها وربما أعجزت
طالبها كذلك جميع الحيوان المسخر للانسان وما ذلك الا لانها عدمت
العقل والتروى فكان ذلك سببا لتذليلها فلم تلتو على أحد من الناس وان
كدها فى كثير من الاحوال وكذلك السباع لو كانت ذوات عقل وروية
لتواردت على الناس وأنكتهم نكاية شديدة عظيمة ولعسر زجرها ودفعها
ولا سيما اذا اشتدت حاجتها فى طلب قوتها ويشتد خللها ألا ترى كيف
اذا أحجمت عن الخلق وصارت فى أماكنها خائفة تهاب مساكن الناس
وتحجم عنها حتى صارت لا تظهر ولا تنبعث فى طلب قوتها فى غالب
أحوالها الا ليلا فجعلها مع شدة قوتها وعظم غذائها كالخائفة من الانس
بل هي ممنوعة منهم ولولا ذلك لساورتهم فى منازلهم وضيقت عليهم فى
مساكنهم . ألا ترى الكلب وهو من بعض السباع كيف سخر فى حراسة
منزل صاحبه حتى صار يبذل نفسه ويترك نومه حتى لا يصل الى صاحبه
ما يؤذيه ثم انه أعان صاحبه بقوة صوته حتى يتنبه من نومه فيدفع عن
نفسه ويألفه حتى يصبر معه على الجوع والعطش والهوان والجفاء فطبع
على هذه الخلال لمنفعة الانسان فى الحراسة والاصطياد ولما جعله البارى
سبحانه حارساً أمده بسلاح وهى الانياب والاظفار واللهث القوى ليذعر
به السارق والمريب وليجتنب المواضع التى يحميها ثم انظر كيف جعل ظهر
الدابة سطحا مثبتا على قوائم أربع لتمهيد الركوب والحمولة وجعل فرجها
بارزا من ورائها ليتمكن الفحل من ضرابها اذ لو كان أسفل باطنها كالآدمى

لم يتمكن الفحل منها ألا ترى أنه لا يستطيع ان يأتيها كفاحا كما يأتي الرجل
المرأة فتأمل هذه الحكمة والتدبير ولما كان فرج الفيلة تحت بطنها فاذا كان
وقت الضراب ارتفع وبرز للفحل حتى يتمكن من اتيانها فلما لم يخالق في
الموضع المخلوق في الانعام والبهائم خلقت فيه هذه الصفة ليقوم الامر الذي
به دوام التناسل وذلك من عظيم العبر ثم انظر كيف كسيت أجساد البهائم
الشعر والوبر ليقيها ذلك الحر والبرد وغيره من الآفات وحملت قوائمها على
الاظلاف والحوافر ليقيها ذلك من الحفا وماكان منها بغير ذلك جعلت له
أخفاف تقوم مقام الحافر في غيره ولما كانت البهائم لا اذهان لها ولا كف
ولا أصابع تتهيأ للاعمال كفيت مؤنة ما يضربها بان جعلت كسوتها في
خلقتها باقية عليها ما بقيت فلا تحتاج الى استبدالها ولا تجديد بغيرها
بخلاف الآدمي فانه ذو فهم وتدبير وأعضاء مهيأة لأعمال مايقترحه
وله في اشتغاله بذلك صلاح وفيه حكمة فانه خلق على قابلية لفعل الخير
والشر وهو الى فعل الشر أميل منه الي فعل الخير فجعلت الاسباب التي
يحصل بها ماهو محتاج اليه ليشتغل بها عما فيه فساده وهلاك دينه فانه لو
أعطى الكفاية في كل أحواله أهلكه الاشر والبطر وكان من أعظم
الحيوانات فساداً في الارض ولتصرف بعقله الذي هو مخلوق لينال به
السعادة الى مافيه شقاوته ثم ان الادمي مكرم يتخير من ضروب
الملابس ماشاء فيلبس منها ماشاء ويخلع منها ماشاء ويتزين بها ويتجمل
ويتلذذ منها على ما يشاء ويكمل بها زينته وجماله وبهاءه في عين من يصحبه

ويحب قربه ويطيب بذلك رائحته وينعش نفسه وهذا من باب النعمة
عليه والكرامة له بخلاف البهائم فانها غنية عن هذا كله . انظر فيما ألهم
الله البهائم والوحوش في البراري فانها توارى أنفسها كما يوارى الناس .
موتاهم فما أحس منها بالموت توارى بنفسه الى موضع يحتجب فيه حتى
يموت والا فأين جثث السباع والوحوش وغيرها فانك لو طلبت منها
شيئا لم تجده وليست قليلة فيخفى أمرها لقلتها بل لو قال قائل انها أكثر
من الانس لم يبعد لان الصحارى قد امتلأت سباع وضباع وبقر وحمير
ووعل وابل وخنزير وذئاب وضروب من الهوام والحشرات وأصناف
من الطير وغير ذلك مما لا يحصى عدده وهذه الاصناف في كل يوم يخلق
منها ويموت منها ولا يرى لها رمم موجودة والذي أجرى الله به عادته أن
تكون في أماكنها فاذا أحست بالموت أتت الى مواضع خفية فتموت
فيها فانظر هذا الامر الذي ألهمه هذه الاصناف في دفن جثثها بما فطرت
عليه وشخص لبني آدم بالفكر والتروى : تأمل الدواب كيف خلقت
أعينها شاخصة أمامها لتنظر مابين يديها فلا تصدم حائطا ولا تتردى في
حفرة واذا قربت من ذلك نفرت منه وأبعدت نفسها عنه وهي جاهلة
بعاقبة مايلحقها منه أليس الذي جبلها على ذلك أراد صلاحها وسلامتها
لينتفع بها ثم انظر الى فمها مشقوقا الى أسفل الحطم لتتمكن من نيل
العلف والرعى ولو جعل كفم الانسان لم تستطع أن تتناول شيئا من الارض
وأعينت بالجحفلة لتقبض بها ماقرب منها فالهمت قبض مافيه صلاحها

وترك مالا غذاء لها فيه ولا صلاح انظر ماكان من البهائم كيف يمز الماء
في شربه مزاً وكيف خلقت فيه شعرات حول فمه يدفع بها ماكان على
وجه الماء من القذى والحشيش ويحركها تحريكا يدفع به الكدر عن الماء
حتى يشرب صفوه فتقوم لها هذه الشعرات مقام فم الانسان ثم انظر
الى ذنب البهيمة وحكمه وكيف خلق كانه غطاء في طرفه شعر فمن منافعه
أنه بمنزلة الغطاء على فرجها ودبرها ليسترها ومنها أن مابين دبرها
وطريق بطنها أبداً يكون فيه وضر يجتمع بسببه الذباب والبعوض
ويجتمع أيضاً على مؤخرها فأعينت على دفع ذلك بتحريك ذنبها فصار
كانه مدية في يدها تذب بها وتطرد عنها مايضر بها ثم انها تعطف برأسها
فتطرد به ما في مقدمها من الذباب أيضاً ثم ان الدابة أيضاً أعينت بحركة
مختصة وذلك أن الذباب اذا وقع عليها في مواضع بعيدة من رأسها وذنبها
حركت ذلك الموضع من جلدها تحريكا تطرد به الذباب وغيره عنها وذلك
من عجيب الحكمة فيما لا ينتفع بيدين ومن الحكمة فيه أيضاً أن الدابة
تستريح بتحريكه يمنة ويسرة لانها لما كان قيامها على أربع اشتغلت يداها
أيضاً بالحمل لبدنها والتصرف فجعل لها في تحريك ذنبها منفعة وراحة
وأعينت بسرعة حركته لئلا يطول المها بما يعرض لها ومن الحكمة فيه
أن البهيمة اذا وقعت في بركة أو مهواة أو وحلت في طين أو غيره فلا
تجد شيئاً أهون علي نهوضها وخلاصها منه من الرفع بذنبها ومن ذلك
اذا خيف على حملها أن ينقلب على رقبتها عند هبوطها من مكان مصبوب

أو ليسبقها رأسها فتنكب على وجهها فيكون مسكها بذنبها في هذه
المواضع يعدلها ويعينها على اعتدال سيرها وسلامتها مما خيف منه عليها
الى غير ذلك من مصالح لا يعلمها الا الحكيم العليم . انظر الى مشفر الفيل
ومافيه من الحكمة والتدبير فانه يقوم مقام اليد في تناول العلف وايصاله
الى فمه فلولا ذلك ما استطاع أن يتناول شيئاً في الارض اذ لم تجعل له
عنق يمدها كسائر الانعام فلما عدم العنق في هذا الخلق جعل له هذا
الخرطوم يمده فيتناول به ما يحتاجه فسبحان اللطيف الخبير . أنظر كيف
جعل هذا الخرطوم وعاء يحمل فيه الماء الى فمه ومنخراً يتنفس منه وآلة
يحمل بها ما أراد على ظهره أو يناول من هو راكب عليه انظر الى خلق
الزرافة لما كان منشأها في رياض شاهقة خلق لها عنقا طويلا لتدرك
قوتها من تلك الاشجار تأمل في خلق الثعلب فانه اذا حفر له بيتاً في
الارض جعل له فوهتين احدهما يتسرب منها والاخرى يهرب منها ان
طلب ويرقق مواضع في بيته فان طلب من المواضع المفتوحة ضرب
برأسه في المواضع التي رققها فخرج من غير المنافذ وهي المواضع التي
نحتها انظر ماخلق الله تبارك وتعالى في جبلته لصيانة نفسه وجملة
القول في الحيوان ان الله تبارك وتعالى خلقه مختلف الطباع والخلق فما
كان منه ينتفع الناس بأكله خلق فيه الانقياد والتذلل وجعل قوته النبات
وما جعل منه للحمل جعله هادىء الطبع قليل الغضب منقاداً منفعلا على
صور تتهيأ منه الحمل وما كان منه ذا غضب وشر الا أنه قابل للتنظيم

اذا نظم خلق فيه هذا القبول للتعليم ليستعين العباد بصيده وحراسته وأعين بآلات قد تقدم ذكرها ومن جملة ذلك الفيل فانه ذو فهم مخصوص به وهو قابل للتأنس والتعلم فيستعان به فى الحمل والحروب ومنها ماله غضب وشر الا أنه متأنس بالانسان لمنفعته كالهرة ومن الطير ما للناس به انتفاع لما فيه من الالفة والتأنس فمن ذلك الحمام يألف موضعه فتنقل بسببه الاخبار بسرعة اذا دعت حاجة الى ذلك وجعله الله سبحانه كثير النسل فيكون منه طعام ينتفع به ومن ذلك البازي فان طباعه تنتقل الى التأنس وان كان في طبعه مباينا الا انه لما علم الله أنه ينتفع بصيده جعل فيه القبول للتنظيم حتى خرج عن عادته وبقي يعمل مايوافق اصحابه وقت الصيد وما خفى من الحكم في خلق الله تعالى أكثر مما اعلم

﴿ باب فى حكمة خلق النحل والنمل والعنكبوت ودود القز والذباب وغير ذلك ﴾

قال الله سبحانه وتعالي (وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم الى ربهم يحشرون) أنظر الى النمل وما ألهمت له فى احتشادها فى جمع قوتها وتعاونهم على ذلك واعداده لوقت عجزها عن الخروج والتصرف بسبب حر أو برد وألهمت فى تقلب ذلك من الحزم مالم يكن عند من يعرف العواقب حتى، تراها فى ذلك اذا عجز بعضها عن حمل ما يحمله

أو جهد به أعانة آخر فيه فصارت متعاونة علي النقل كما يتعاون الناس على العمل الذى لا يتم الا بالتعاون ثم أنها ألهمت حفر بيوت فى الارض تهتدىء فى ذلك بأخراج ترابها وتقصد الى الحب الذى منه قوتها فتقسمه خشية أن ينبت بنداوة الارض فمن خلق هذا فى جبلتها الا الرحمن الرحيم ثم اذا أصاب الحب بلل أخرجته فنشرته حتى يجف ثم انها لا تتخذ البيوت الا فيما علا من الارض خوفا من السيل ان يغرقها ثم انظر الى النحل وما ألهمت اليه من العجائب والحكم فان الباري سبحانه جعل لها رئيسا تتبعه وتهتدي به فيما تناله من اقواتها فان ظهر مع الرئيس الذى تتبعه رئيس آخر من جنسه قتل أحدهما الآخر وذلك لمصلحة ظاهرة وهو خوف الافتراق لانهما اذا كانا أميرين وسلك كل واحد منهما نحا افترق النحل خلفهما ثم أنها ألهمت ان ترعي رطوبات من اعلي الازهار فتستحيل في أجوافها عسلا فعلم من هذا التسخير مافيه من مصالح العباد من شراب فيه شفاء للناس كما أخبر سبحانه وتعالى وفيه غذاء وملاذ للعباد وفيه من اقوات فضلات عظيمة جعلت لمنافع بنى آدم فهى مثل ما يفضل من اللبن الذى خلق لمصالح أولاد البهائم واقواتها وما فضل من ذلك ففيه من البركة والكثرة ما ينفع الناس . ثم أنظر ما تحمله النحل من الشمع بأرجلها لتوعى فيه العسل وتحفظه فلا تكاد تجد وعاء أحفظ للعسل من الشمع فى الاجناح فانظر فى هذه الذبابة

هل في علمها وقدرتها جمع الشمع مع العسل أو عندها من المعرفة بحيث
رتبت حفظ العسل مدة طويلة باستقراره فى الشمع وصيانته فى الجبال
والشجر فى المواضع التى تحفظه ولا يفسد فيها ثم أنظر لخروجها نهاراً
لرعيها ورجوعها عشية الى أماكنها وقد حملت ما يقوم بقوتها ويفضل
عنها ولها فى ترتيب بيوتها من الحكمة فى بنائها حافظ لما تلقيه من
أجوافها من العسل ولها جهة أخري تجعل فيه برازها مباعداً عن مواضع
العسل وفيها غير هذا مما انفرد الله بعلمه . أنظر الى العنكبوت وما خلق
فيها من الحكمة فان الله خلق في جسدها رطوبة تنسج منها بيتا
لتسكنه وشركا لصيدها فهو مخلوق من جسدها وجعل الله غذاءها من
من أقواتها ينصرف الى تقويم جسدها والى خلق تلك الرطوبة
المذكورة فتنصبه أبداً مثل الشرك وفى ركن الشرك بيتها وتكمن في بيتها
بحيث يغيب شخصها والشرك من خيوط رقاق تلتف علي أرجل الذباب
والناموس وما أشبه ذلك فاذا أحست أن شيئاً من ذلك وقع فى شركها
خرجت اليه بسرعة وأخذته محتاطة عليه ورجعت الى بيتها فتقتات بما
يتيسر لها من رطوبة تلك الحيوانات وان كانت مستغنية فى ذلك
الوقت شكلته وتركته الى وقت حاجتها فانظر ماجعل الله فيها من
الاسباب لحصول قوتها فبلغت فى ذلك ما يبلغه الانسان بالفكرة والحيلة
كل ذلك لصلاحها ولنيل قوتها ولتعلم أن الله هو المدبر لهذا . ثم انظر

من العجائب دود القز وما خلق فيه من الاشياء التى يتحير منها ويذكر
الله عند رؤيتها فان هذا الدود خلق لمجرد مصلحة الانسان ومنافعه فان
هذا الحيوان الذى يخلق من جسمه الحرير وذلك ان صورة البزر تحضن
حتى اذا حمي عاد دوداً كالذر فيوضع هذا الدود على ورق التوت فيتغذي
منه فلا يزال يرعى منه حتى يحفر جسمه فينبعث الى غزل جوز الحرير
فلا يزل كذلك حتى يفنى جسمه وتعود جوزة حرير ويصير هو جسما
ميتا لا حياة فيه . ثم أنظر فان البارى سبحانه لما أراد حفظ هذا الجنس
ببقاء نسله فعند ما ينتهى من غزل الحرير ويبقى ذلك الجسم يقلبه الله
الى صورة طائر صغير قريب من صورة النحل فيجمع على بساط أو غيره
وهو في رأى العين جنس واحد لا يتميز منه الذكر من الانثى فيعلو الذكر
منه على ظهر الانثى ويقيم لحظة على ظهرها فتحبل لوقتها وتلد لوقتها
مثل ذلك البزر الذي حضن أولا ثم يطير فيذهب فلا يبقي بها انتفاع
اذ قد حصل منها المقصود وهو ذلك البزر فانظر من ألهمها الرعى من
ذلك الورق حتى تربت منه ومن ألهمها الى غزل أجسادها حريراً حتى
يفني بما غزلته ومن ربي لها أجنحة وقلب صورتها حتى صارت علي هيئة
يمكن فيها اجتماع الذكر والانثى لتناسلها ولو بقيت على صورتها الاولى
لم يأت منها تناسل ولا هذا الاجتماع ثم أنظر مايسره البارى سبحانه من عمل
ما غزلته هذه الدودة على من يعمله من بنى آدم حتى يكون منه أموال

كثيرة وملابس عظيمة وزينة وانظر هذا التسخير العجيب فى هذا
الحيوان اللطيف وما أظهر فيه سبحانه من بديع الصنع وعجيب الفعل
وعظيم الاعتبار وما جعل فيه من البرهان والآيات على بعث
الاموات واعادة العظام الرفات سبحانه لا اله الا هو العلي العظيم . ثم
انظر الذبابة وما أعينت به فى نيل قوتها فانها خلقت بأجنحة تسرع بها
الى موضع تنال فيه قوتها وتهرب بها عما يهلكها ويضرب بها خلق لها ستة
أرجل تعتمد على أربع وتفضل اثنتين فان أصابها اعثار مسحته بالرجلين
اللذين تليهما وذلك لرقة أجنحتها ولان عينيها لم يخلق لهما اهداب لانهما
بارزتان عن رأسها وجعل هذا الحيوان وما جرى مجراه مما يتعلق ببني
آدم ويقع عليهم دائما وينغص عليهم عيشهم ليعرفهم البارى سبحانه هوان
الدنيا حتى تصغر عندهم ويهون أمر فراقها وهو وجه من وجوه الحكمة
عليهم تأمل كثيراً من الحيوان الصغير عند ماتلمسه يعود كانه جماد
لاحراك به ويبقى على ذلك ساعة ثم يتحرك ويمشي وهل ذلك الالان
مايصطاد انما يصطاد اذا دلت هيئته على عدم حياته فاذا كان شبيها بالجماد
ترك كما تترك سائر الحجارة تأمل العقاب عندما يصطاد السلحفاة يجدها
كانها حجر ولا يجد فيها موضعا لاكله فيصعد بها فى مخالبه حتى اذا بعد
من الارض اعتدل بها على جبل أوحجارة وأرسلها فتهشمها الوقعة فيسقط
عليها فيأكلها فانظر كيف الهم الطريق في نيل قوته من غير عقل ولا روية

انظر الى الغراب لما كان مكروها خلق فى طبعه الحذر لصيانة نفسه
حتى كانه يعلم الغيب فيمن يقصده والهم الاحتيال فى اخفاء عشه لصون
فراخه وقل احتفاله بالانثى خشية أن تشغله عن شدة حذره ولذلك
قل ان يرى مجتمعا مع أنثى فهذا أبداً دأبه وحاله مع من له عقل وفطنة
وتراه مع البهائم على خلاف ذلك فيقف على ظهورها ويأكل من دم البعير
ومن أرواث الدواب وقت تبرزها واذا وجد شيئا من قوته وأكل منه
وشبع دفن باقيه حتى يعاوده وقتا آخر فمن خلق هذا في طبعه ودبره بهذا
التدبير العجيب الا الله لانه لا عقل له ولا روية . أنظر الى الحدأة لما كانت
مكروهة حفظت نفسها بقوة طيرانها وتعاليها وحفظت فى أمر قوتها
بقوة بصرها فانها ترى ماتقتات به فى الارض مع علوها فى الجو فتنحط
نحوه بسرعة وألهمت معرفة من هو مقبل ومن هو مدبر فتخطف
ماتخطفه من الناس من ورائهم ولا تخطف مما يستقبلها لئلا يمنعها
المستقبل بيديه وأعينت لما كان غذاؤها من هذه الوجوه بأن جعلت لها
مخالب كانهم السنانير لا يكاد يسقط منها ماترفعه فسبحان المدبر الحكيم .
انظر الى الحيوان المسمى حرباء ومافيه من التدبير فانه لما خلق بطيئا في
نهضته وكان لابد له من قوته خلق على صورة عجيبة فخلقت عيناه تدور
لكل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة فى جسده ولا
قصد اليه ويبقى جامداً كانه ليس من الحيوان ثم اعطي مع السكون

أن يتشكل فى لون الشجرة التى يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها ثم اذا قرب منه مايصطاده من ذباب أوغيره أخرج لسانه فيخطف ذلك بسرعة خفوق البرق ثم يعود على حالته كانه جزء من الشجره وجعل الله لسانه بخلاف المعتاد ليلحق به مابعد عنه بثلاثة أشبار أونحوه فقد سخر له مايصطاد به على هذه المسافة واذا رأي مايريعه ويخيفه تشكل على هيئة وشكل ينفر منه من يصطاده من الحيوان ويكرهه فانظر هذه التى خلقت فيه لاجل قلة نهضته فاعتبر بها . انظر الى الحيوان الذى يسمى سبع الذباب وما أعطى من الحيلة والرفق فيما يقتات به فانك تجده يحس بالذباب قد وقع قريبا منه فيركد مليا حتى كانه ميت أوجماد لاحراك به فاذا أحس ان الذباب قد اطمأن دب دبيبا رقيقا حتى لا ينفره حتى اذا صار قريبا منه بحيث يناله بوثبة وثب عليه فأخذه فاذا أخذه اشتمل عليه بجسده كله خشية ان يتخلص منه الذباب فلا يزال قابضاً عليه حتى يحس ببطلان حركته فيقبل عليه فيغتذي منه بما يلائمه منه فانظر الى هذه الحيلة أهى من فعله أوهى مخلوقة من أجل رزقه فسبحان البارى الحكيم . انظر الي الذر والبعوض الذى أوهن الله قوتها وأصغر قدرها وضرب بها المثل فى كتابه هل تجد فيها نقصا عما فيه صلاحها من جناح تطير به ورجل تعتمد عليها وبصر تقصد به موضعا تنال فيه قوتها وآلة لهضم غذائها واخراج فضلته وانظر هل يمكن أن يعيش من

غير قوت وهل يمكن ان يكون القوت فى غير محل واحد واخراج فضلته من غير منفذ ثم أنظر كيف دبرها العزيز الحكيم فسواها وقدر أعضاءها واستودعها العلم والمعرفة بمنافعها ومضارها وكله دليل على علمه وقدرته وحكمته البالغة فهى بعوضة صغرت فى النظر ومع هذا فلو ان أهل السموات والارض من الملائكة فمن دونهم من العالمين وسائر الخلق أجمعين ارادوا ان يعرفوا كيف قسم الخالق سبحانه أجزاءها وحسن اعتدال صورتها فى أعضائها لما قدروا على ذلك الا تظاهراً لمنظر العجز منهم علي عدم علم حقيقة الخبر ولو اجتمعوا ثم تفكروا كيف ركب معرفتها حتى عرفت أن مابين الجلد واللحم دما وهو الذى هو غذاؤها ولولا معرفتها به لم تقدم على مصه حتى تطعمه وكيف همتها التى قصدت بها أن تطير الى الموضع الذي ألهمها ربها أن فيه غذاءها وكيف خرق سمعها وكيف سمعت حس من يقصدها وكيف عرفت أن نجاتها فى الفرار اذا ولت هاربة ممن قصدها فلن يدرك ذلك منها الخلائق أجمعون ولو جزؤها ما ازدادوا فى أمرها إلا عمى وبعداً عن المعرفة فهذه الحكمة والقدرة فى بعوضة فما ظنك بجميع مخلوقاته سبحانه وتعالى علواً كبيراً .

﴿ باب فى حكمة خلق السمك وما تضمن خلقها من الحكم ﴾

قال الله تعالى (وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا) انظر واعتبر بما خلق الله تعالى فى البحار والانهار من الحيوان المختلف

الصور والاشكال وما فيه من الآيات البينات فانه تعالى لما جعل مسكنه
في الماء لم يخلق له قوائم ولم يخلق فيه رئة لانه لا يتنفس وهو منغمس
في لجة الماء وخلقت له مكان القوائم أجنحة شداد يحركها من جانبه فيسير
بها حيث شاء وكسا جلده كسوة متداخلة صلبة تخالف لحمه متراصة
كانها درع لتقيه ما يعمد اليه وما يؤذيه وما لم يخلق له من السمك تلك
الكسوة وهى القشر المتداخل المخلوق على ظاهره خلق له جلداً غليظا
متقنا يقوم له مقام تلك الكسوة لغيره وخلق له بصراً وسمعا وشما
ليستعين بذلك على نيل قوته والهرب مما يؤذيه . وانظر كيف أعطى
فى قعر البحر ما يناسبه فى نيل القوت والهرب مما يضره ولما علم الله
سبحانه أن بعضه غذاء لبعض كثره وجعل أكثر أصنافه يحمل ولم
يجعل الحمل منه خصوصاً بالانثى دون الذكر كحيوان البر بل جعل
الذكر والانثى جنساً واحداً يخلق فى بطونها مرة واحدة فى وقت
معلوم ذوبعة مجتمعة مشتملة على عدد لا ينحصر فيخلق من جوف
واحدة عدداً لا يحصي وذلك من كل بزرة حوتا من الجنس ومن جنس
آخر يخلق في الانهار وغيرها بغير توالد فيخلق منها أعداداً لا تحصر
دفعة واحدة ومنه صنف يتوالد بالذكر والانثى وهذا الجنس يخلق له
يدان ورجلان مثل السلحفاة والتمساح وما شاكلهما فيتولد منهما بيض
فاذا انتقص البيض بحرارة الشمس خرج من كل بيضة واحد من

الجنس ولما علم الله سبحانه وتعالى أن السمك فى البحر لا يمكن أن
يحضن ما يخرج من بزره ألقى الروح في بزر جميعه عند ما يولد فيجد
فيه جميع مايحتاجه من الاعضاء عند القاء الروح فيه فيستقل ولا يفتقر
الى أحد في كمال خلقه فانظر هذه الحكمة واللطف حيث لم يمكن
حضانته فى البحر ولا تربيته ولا معونته البتة جعله مستقلا بنفسه مستغنيا
عن ذلك كله ثم أن الله سبحانه كثره لان منه قوت جنسه وقوتاً لبنى
ادم والطير فلذلك كان كثيراً ثم انظر الى سرعة حركته وان لم تكن
له آلة كغيره من الحيوان وانظر الى حركة ذنبه وانقسامه وكيف
يعتدل بذلك فى سيره كما تعتدل السفينة برجلها فى سيرها وخلقت
أرياشه ألواحا من جانبيه ليعتدل بها أيضاً فى سيره فهو بمنزلة الركب
وانظر الى عظامه كيف خلقت مثل العمد يبنى عليها فى كل موضع منه
ما يليق به من صورة العظم المشاكل لذلك العضو فهو كانشاء المركب
يمتد العظم الجافى الذى هو قوته ويخرج من أضلاع الى مراق البطن
والظهر وعظام الرأس يحتاج اليه من الامر وبه قوامه وانظر الى ماكان
منه كاسراً كيف أعين على نيل قوته بصلابة اللحم وقوة النهضة وكثرة
الاسنان حتي أنه لكثرة أسنانه تكون العضة الواحدة تجزيه عن المضغ
انظر الى ماخلق الله فى البحر ضعيفاً قليل الحركة مثل أصناف الصدف
والحلزون كيف حفظ بأن خلق عليه ذلك الحصن

كالرخام ليصونه ويحفظه وجعله له بيتا وسكنا وجعل ما يلي جسده
ناعما أنعم ما يكون وربما ضر ببيت بعض أصناف الحلزون حتى
لايكون فيه مطمع البتة وأصناف منه خلقت فى محائز مفتوحة لايمكن
صيانتها لنفسها لتغلقها ولا يضيق مسلكها فجعل الله لها من الجبال
والحجارة مغطا وجعل لها أسبابا تلاصق بها فى الجبل فلا يستطاع
اخراجها الا بغاية الجهد وجعل لها قوتاً من رطوبات الجبل تتأتى حياتها
بذلك وأما الحلزون الذى بيته كانه كوكب فانه يخرج رأسه يرعي فاذا
أحس بما يؤذيه أدخل رأسه فى بيته وختم عليه بطابع صلب يقرب
من صلابة بيته ليغيب أثره بالجملة فانطر هذا اللطف وأن الله لم يهمل
شيئاً واعلم أن الله حافظ لما فى البحار وما فى الا كام والجبال فتبارك
الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . وانظر الى أنواع من السمك
يرعي قرب البر الصغير منها والجافي فى الاعماق وقد خلق الله فى جوفه
صبغا كأنه حبر وهو يخلق له فيه من فضلة غذائه كما يخلق اللبن في
الضرع فاذا أحس بما يؤذيه أخرج من جوفه مايعكر موضعه ثم يذهب
فى الماء الذى تعكر فلا يعرف كيف ذهب ولا كيف طريقه من تعكر
الماء فعل الله ذلك له وقاية لنفسه وفعل فيه مصالح أخر لا يعلمها الا
خالقها . انطر الى نوع اخر من السمك أعين بأجنحة مثل أجنحة

من وجه الماء يظهر لمن لا يعرف ذلك أنه من طيور البر انظر الى نوع
اخر من السمك ضعيف وكثيراً ما يكون فى الانهار وجعل الله فيه
خاصية تصونه اذا اقتربت منه تأخذه وفيه الروح تخدر البدن واليد
فيعجز قاصده عن أخذه بذلك السبب فلو ملئت الكتب بعجائب
حكم الله في خلق واحد لامتلأت الكتب وعجز البشر عن استكمالها
وما هو المذكور فى كل نوع تنبيه يشير الى أمر عظيم

﴿ باب فى حكمة خلق النبات وما فيه من عجائب حكمة الله تعالى ﴾

قال الله تعالى (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء
ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أإله مع
الله بل هم قوم يعدلون) انظر وفقك الله وسددك الى ما على وجه الارض
من النبات وما فى نظره من النعيم في حسن منظره وبهجته ونضارته التى
لا يعد لها شيء من مناظر الارض ثم انظر الى ما جعل البارى فيه من
ضروب المنافع والمطاعم والروائح والمارب التى لا تحصى وخلق فيه الحب
والنوى مخلوقا لحفظ أنواع النبات وجعل الثمار للغذاء والتفكه والاتبان
منها للعلف والرعى والحطب للوقود والاخشاب للعمارة وإنشاء السفن
ولغير ذلك من الاعمال التى يطول تعدادها والورق والازهار والاصول
والعروق والفروع والصموغ لضروب من المصالح لا تحصى أرأيت لو
وجدت الثمار مجموعة من الارض ولم تكن تنبت على هذه السوق الحاملة

لها ما كان يحصل من الخلل فى عدم الاخشاب والحطب والاتبان وسائر
المنافع وان وجد الغذاء بالثمرات والتفكه بها ثم انظر ما جعل الله فيها من
البركات حتى صارت الحبة الواحدة تخلف مائة حبة وأكثر من ذلك وأقل
والحكمة فى زيادتها وبركتها حصول الاقتيات ومافضل ادخر للامور
المهمة والزراعات وذلك فى المثال كملك أراد عمارة بلدة فاعطى أهلها من
البذر ما يبذرونه وفضلة يتقوتون بها اذا ادرك زرعهم فهذه هى الحكمة
التى عم الله بها البلاد وأصلح بها العباد وكذلك الشجر والنخل تزكو
وتتضاعف ثمراتها حتى تكون من الحبة الواحدة الشىء العظيم ليكون
فيه ما يأكله العباد ويصرفونه فى ما ربهم ويفضل ما يدخر ويغرس فيدوم
جنسه ويؤمن انقطاعه ولولا نموه وبقاء ما يخلفه لكان ما اصابته جائحة
ينقطع فلا يوجد ما يخلف . تأمل فى هذه الحبوب فانها تخرج فى أوعية
تشبه الخرائط لتصونها وتحفظها الى أن تشتد وتستحكم كما تخلق المشيمة
على الجنين فأما البزر وما أشبهه من الحبوب فانه يخرج من قشور صلبة
على رؤسها أمثال الاسنة ليمنع من الطير فانظر كيف حصنت الحيوانات
بهذه الحصون وحجبت لئلا يتمكن الطير منها فيصيب بها وان كان يناله
منها قوته الا أن حاجة الادمى أشد وأولى . تأمل الحكمة فى خلق
الشجر وأصناف النبات فانها لما كانت محتاجة الى الغذاء الدائم كحاجة
الحيوانات ولم يخلق فيها حركات تنبعث بها ولا الات توصل اليها

غذاءها جعلت أصولها مركوزة فى الارض لتجذب الماء من الارض
فتغتذى بها أصولها وما على متنها من الاغصان والاوراق والثمار فصارت
الارض كالام المربية لها وصارت أصولها وعروقها كالافواه الملتقمة لها
وكأنها ترضع لتبلغ منها الغذاء كما ترضع أصناف الحيوان من أمهاتها ألم تر
الى عمد الخيم والفسطاط كيف يمتد بالاطناب من كل جانب ليثبت منتصبه
فلا يسقط ولا يميل فهكذا أمر النبات كله له عروق منتشرة في الارض
ممتدة الى كل جانب وتمسكه وتقيمه ولولا ذلك لم تثبت الاشجار العالية
لا سيما فى الرياح العاصفة فانظر الى حكمة الخالق كيف سبقت حكمة
الصناعة واقتدى الناس فى أعمالهم بحكمة الله في مصنوعاته . . وتأمل
خلق الورق فانك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فمنها غلاظ ممتدة
في طولها وعرضها ومنها دقاق تخلل تلك الغلاظ منسوجة نسجا دقيقا
عجيبا لو كان مما يصنع بأيدى البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة
الا فى مدة طويلة وكان يحتاج فيه الى الات وطول علاج فانظر كيف
يخرج منه فى المدة القليلة ما يملأ السهل والجبال وبقاع الارض بغير آلة
ولا حركة الاقدرة البارى وارادته وحكمه . . ثم انظر تلك العروق
كيف تتخلل الورق بأسره لتسقيه وتوصل اليه المادة وهى بمنزلة العروق
المبثوثة في بدن الانسان لتوصل الغذاء الى كل عضو منه وأما ما غلظ
من العروق فانها تمسك الورق بصلابتها وقوتها لئلا ينتهك ويتمزق

ثم انظر الى العجم والنوى والعلة فيه فانه جعل فى جوف الثمرة ليقوم
مقامه اذا عدم ما يغرس أو عاقه سبب فصار ذلك كالشيء النفيس الذي
يخزن في مواضع شتى لعظم الحاجة اليه فان حدث على الذى فى بعض
المواضع حادث وجد منه في موضع آخر ثم فى صلابته يمسك رخاوة
الثمار ورقتها ولولاه لسرحت وسرح الفساد اليها قبل ادراكها وفى بعضها
حب يؤكل وينتفع بدهنه ويستعمل فى مصالح . ثم أنظر الى ماخلق الله
تعالى فوق النواة من الرطب وفوق العجم من العنبة والهيئة التى تخرج
عليها وما فى ذلك من الطعم واللذة والاستمتاع للعباد . ثم تأمل الحب
والنوى وما أودع فيها من قوة وعجائب كالمودع في الماء الذى يخلق منه
الحيوان وهو سر لايعلم حقيقته الا الله سبحانه وماعلم من ذلك يطول .
ثم أنظر كيف حفظ الحب والنوى بصلابة وخلقت فى ظاهره قشرة حتى
أنه بسبب ذلك ان سقط فى تراب أو غيره لايفسد سريعا واذا ادخر
لوقت الزراعة بقى محفوظا فصار قشره الخارج حافظا لما فى باطنه بمنزلة
شيء نفيس عمل له صندوق يحفظه وعند مايوضع فى الارض ويسقى
يخرج منه عرق فى النوى وغصن فى الهوى وكلما ازداد غصنا ازداد عرقا
تتقوى به أصل الشجرة وينصرف الغذاء منه الى الغصن فهى كذلك اذ
يتم غصنها قوتها فتكون الفروع محفوظة عن السقوط بالهوى والانكسار
بالنقل أو بغيره ويصعد الماء فى جذرها الى أعالى الشجرة فيقسمه الله

سبحانه بالقسط وميزان الحق فينصرف للورق غذاء صالح له وللعروق
المشتبكة فى الاوراق لاتصال الغذاء الى جوانب الورق مايليق بغذائها
وللثمار غذاء صالح لها وللاقماع واللحا والازهار غذاء صالح لكل من ذلك
مايليق به ويصلحه فهو كذلك حتى يكمل فى الثمار نموها وطعمها ورائحتها
والوانها المختلفة وحلاوتها وطيبها ثم أنظر كيف جعل الله سبحانه خروج
الاوراق سابقا لخروج الثمار لان الثمرة ضعيفة عند خروجها تتضرر
بحر الشمس وبرد الهواء فكانت الاوراق ساترة لها وصار مابينها من
الفرج لدخول اجزاء من الشمس والهواء لاغنى للثمرة عنها فيحفظها ذلك
من المن والعفن وغير ذلك من الفساد . ثم أنظر كيف رتب البارى سبحانه
الاشجار والثمار والازهار وجعلها مختلفة الالوان والاشكال والطعوم
والروائح فاشكالها ما بين طويل وقصير وجليل وحقير والوانها ما بين
أحمر وابيض وأصفر وأخضر ثم كل لون منها مختلف الى شديد وصاف
ومتوسط وطعومها مابين حلو وحامض ومز وتفه ومر وروائحها الى
عطرات لذيذات مختلفات وقد أوضح الكتاب العزيز من ذلك ماذكرناه
مما يشرح الصدور ويكشف المتأمل منه كل مستور فانظر ماأودع البارى
سبحانه فيها من السر عند النظر اليها فانها تجلى عن القلوب درنها عند
مشاهدتها وتنشرح الصدور برؤيتها وتنتعش النفوس لرونق بهجتها
وأودع الله سبحانه فيها منافع لاتحصى مختلفة التأثير فمنها ما تقوى به

القلوب ومنها أغذية تحفظ الحياة وجعلها مطعومة لذيذة عند تناولها وخلق فيها بزوراً لحفظ نوعها تزرع عند جفافها وانفصال وقت نضارتها أنظر وتأمل مافى قوله عز وجل (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين) فأخرج سبحانه فيما بين الحجر والماء زيتاً صافياً لذيذاً نافعاً كما أخرج اللبن من بين فرث ودم ومن النحل شرابا عسلا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس ولو جمعت هذه الاشياء فى مستقر الانهار وكل ذلك لمنافع العباد فانظر مافيه من العبرة لذوى الافكار ثم أنظر الى الماء الصاعد من العروق الراسخة الحافظة للاعلى من الشجرة وكيف قسم البارى فى غذاء النخلة فقسم للجذر ما يصلح لها وللجريد ومافيه من السل مايصلح لها ويناسب جريدها ويرسل للثمرة مايليق بها وكذلك الليف الحافظ للاصول مع الثمرة وجعل الثمرة لما كانت ضعيفة فى أول أمرها متراصة متراكمة بعضها فوق بعض مجموعة فى غلاف متقن يحفظها مما يفسدها ويغيرها حتى اذا قويت صلحت ان تبرز للشمس والهواء فانشق عنها غلافها على التدريج وهو الذى كان حافظا لها فصار يفترق شيئا بعد شئ على قدر ماتحتمله الثمرة من الهواء والشمس حتى تكمل قوتها فتظهر جميعها حتى مايضربها مايلقاها من حر وبرد ثم تراها فى النضج والطيب الى بلوغ الغاية المقصودة منها فيلتذ حينئذ بأكلها ويمكن الانتفاع بادخارها وتصرف فى المآرب التى هيئت لها واعتبر

ذلك فى جميع الاشجار فانك ترى فيها من أسباب الحفظ ولطائف الصنع مايعتبر به كل ذى فهم ولب . فمن ذلك خلق الرمانة ومافيها من غرائب التدبير فانك ترى فيها شحما مركوما فى نواصيها غليظ الاسفل رقيق الاعلا كأمثال التلال في تلويته أو البناء الذى وسع أسفله للاستقرار ورقق أعلاه حتى صار مرصوفا رصفا كأنه منضد بالايدي بل تعجز الايدي عن ذلك التداخل الذى نظم حبها فى الشحم المذكور وتراه مقسوما أقساما أقساما وكل قسم منه مقسوم بلفائف رقيقة منسوجة أعجب نسج والطفه لتحجب حبها حتى لا يلتقى بعضه ببعض فيفسد ولا يلحق البلوغ والنهاية وعليها قشر غليظ يجمع ذلك كله ومن حكمة هذه الصنعة أن حبها لو كان حشوها منه صرفا بغير حواجز لم يمد بعضه بعضا فى الغذاء فجعل ذلك الشحم خلاله ليمده بالغذاء ألا ترى أصول الحب كيف هي مركوزة فى ذلك الشحم ممدودة منه بعروق رقاق توصل الى الحب غذاءها والى كل حبة حبة غذاءها ومن رقها وضعفها لا تكدر على الآكل ولا تعرف بها . ثم انظر ما يصير من الحلاوة فى الحب من أصول مرة شديدة المرارة قابضة ثم تلك اللفائف على الحب تمسكه عن الاضطراب وتحفظه ثم حفظ الجميع وغشاه بقشر صلب شديد القبض والمرارة وقاية له من الآفات فان هذا النوع من النبات للعباد به انتفاعات وهو مابين غذاء ودواء وتدعو الحاجة اليه فى

غير زمانه الذي يجنى فيه من شجره تحفظ على هذه الصفة لذلك . انظر
الى عود الرمانة الذى هى متعلقة به كيف خلق مثبتاً متقناً حتى تستكمل
خلقها فلا تسقط قبل بلوغها الغاية المحتاج اليها وهى من الثمرة المختصة
بالانسان دون غيره من الحيوان وانظر الي النبات الممتد على وجه
الارض مثل البطيخ واليقطين وما أشبه ذلك وما فيه من التدبير فانه
لما كان عود هـذا النبات رقيقاً ريانا ذا احتياج الى الماء لا ينبت الا به
جعل ماينبت به منبسطا على وجه الأرض فلو كان منتصباً قائماً كغيره
من الشجر لما استطاع حمل هذه الثمار مع طراوة عودها ولينها فكانت
تسقط قبل بلوغها وبلوغ غاياتها فهي تمتد على وجه الأرض لبلوغ الغاية
وتحمل بالارض عودها وأصل الشجرة والسقى يمدها . وانظر هذه
الاصناف كيف لا تخلق الا في الزمن الصالح لها ولمن تناولها فهى له
معونة عند الحاجة اليها ولو أنت فى زمان البرد لنفرت النفوس عنها
ولاضرت بأكثر من يأكلها ثم انظر الى النخل لما كانت الأنثى منه
تحتاج الي التلقيح خلق فيها الذكر الذى تحتاج اليه لذلك حتى صار
الذكر فى النخل كأنه الذكر فى الحيوان وذلك ليتم خلق ما يزرعته
تحفظ أصول هـذا النوع . ثم انظر مافى النبات من العقاقير النافعة
البديعة فواحد يغور في البدن فيستخرج الفضلات الغليظة وآخر
لاخراج المرة السوداء وآخر للبلغم وآخر للصفراء وآخر لتصريف

الريح وآخر لشد البطن فى الطبيعة وآخر للاسهال وآخر للقىء وآخر
لروائحه وآخر للمرضى والضعفاء وكل ذلك من الماء فسبحان من دبر
ملكه وأحسن التدبير

﴿ باب ما تستشعر به القلوب من العظمة لعلام الغيوب ﴾

قال الله العظيم (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم انه كان
حليما غفوراً) وقال تعالى (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن
والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض) وقال تعالى
(ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) ، اعلم وفقنا الله واياك
أن جميع ما تقدم ذكره فى هـذا الكتاب من بدائع الخلق وعجائب
الصنع وما ظهر فى مخلوقاته من الحكم آيات بينات وبراهين واضحة
ودلائل دالات على جلال باريها وقدرته ونفوذ مشيئته وظهور
عظمته فانك اذا نظرت الى ماهو أدني اليك وهى نفسك رأيت فيها
من العجائب والآيات ما سبق التنبيه عليه وأعظم منه ثم أنك اذا
نظرت الي مستقرك وهى الارض وأجلت فكرك فيها وأطلت النظر
فى استرسال ذهنك فيما جعل فيها وعليها من جبال شامخات وما
أحيط بها من بحار زاخرات وما جرى فيها من الانهار وما أنبت
فيها من أصناف النباتات والاشجار وما بث فيها من الدواب الى غير

ذلك مما يعتبر به أولو الالباب . ثم اذا نظرت الى سعتها وبعد أكنافها
وعلمت عجز الخلائق عن الاحاطة بجميع جهاتها وأطرافها ثم نظرت
فيما ذكرته العلماء من نسبة هذا الخلق العظيم الى السماء، وأن الارض وما
فيها بالنسبة الى السماء كحلقة ملقاة في أرض فلاة وما ذكره النظار من
أن الشمس فى قدرها تزيد على قدر الارض مائة ونيفا وستين جزءا وان
من الكواكب ما يزيد عن الارض مائة مرة ثم انك ترى هذه النيرات
كلها من شمس وقمر ونجوم قد حوتها السموات وهى مركوزة فيها ففكر
فى السماء الحاوية لهذا القدر العظيم كيف يكون قدرها ثم أنظر كيف ترى
الشمس والقمر والنجوم والسماء والجامعة لذلك فى حدقة عينك مع صغرها
وبهذا يعرف بعد هذا كله منك وعظم ارتفاعه ولاجل البعد ترى هذه
النيرات صغيرة فى رأى العين ثم انظر الى عظم حركتها وأنت لا تحس
بها ولا تدركها لبعدها ثم انك لا تشك ان الفلك يسير في لحظة قدر
كوكب فيكون سيره فى لحظة قدر الارض مائة مرة وأكثر من ذلك
وأنت غافل عن ذلك . ثم فكر فى عظم قدر هذه الاشياء واسمع قسم
الرب سبحانه بها فى مواضع من الكتاب العزيز فقال عز وجل (والسماء
ذات البروج) (والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب)
وقال (فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم) الى غير ذلك
من الآى ثم ترق بنظرك الى ماحواه العالم العلوى من الملائكة وما

فيها من الخلق العظيم وما أخبر به جبريل عليه السلام النبي صلى الله
عليه وسلم عن اسرافيل عليه السلام بقول جبريل فكيف لو رأيت
اسرافيل وان العرش لعلى كاهله وان رجليه لفى تخوم الارض السفلى
وأعظم من هذا كله قوله عزوجل (وسع كرسيه السموات والارض)
فما ظنك بمخلوق وسع هذا الامر العظيم فارفع نظرك الى بارىء هذا
العظيم واستدل بهذا الخلق العظيم على قدر هذا الخالق العظيم وعلى جلاله
وقدرته وعلمه ونفوذ مشيئته وإتقان حكمته في بريته وانظر كيف جميع
هذا الصنع العظيم ممسوك بغير عمد تقله ولا علائق من فوقه ترفعه
وتثبته فمن نظر فى ملكوت السموات والارض ونظر فى ذلك بعقله
ولبه استفاد بذلك المعرفة بربه والتعظيم لامره وليس للمتفكرين الى
غير ذلك سبيل وكلما ردد العقل الموفق النظر والتفكر فى عجائب الصنع
وبدائع الخلق ازداد معرفة ويقينا واذعانا لبارئه وتعظيما ثم الخلق فى
ذلك متفاوتون فلكل مثال من ذلك على حسب ماوهبه له من نور
العقل ونور الهداية وأعظم شىء موصل الى هذه الفوائد المشار اليها
تلاوة الكتاب العزيز وتفهم ماورد فيه وتدبر آياته مع ملازمة تقوى
الله سبحانه فهذا هو باب المعرفة بالله واليقين بما عند الله . ثم أنظر وتأمل
مانشير اليه فانك علمت على الجملة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ملكوت ربه وتحقق أمر الآخرة والاولى ودنى من ربه حتى كان كقاب قوسين أو أدنى فما ظنك بعلم من شرف بهذا المعنى ثم أمر بأن يقول (وقل رب زدنى علما) وعلمك بمعرفته ومن عليك بنور هدايته واستعملنا واياك بطاعته وجعلنا بكرمه أجمعين من أهل ولايته بمنه وكرمه وجوده أنه ولى ذلك . . تم كتاب الحكمة فى مخلوقات الله عز وجل سبحانه وتعالى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

صحيفة

